الموسوعة الصغيرة



الزير سالم

دراسات في السيرة الهلالية

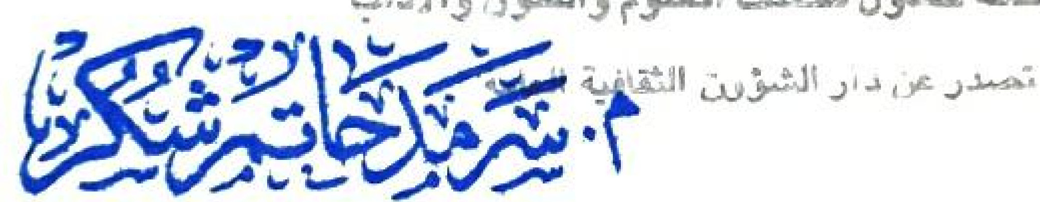
تأليف
باسم عبد الحميد حمودي



الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية تتناول مختلف العلوم والفنون والآداب

تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة



١٩٨٩

وزارة الثقافة والاعلام



دار الشؤون الثقافية العامة

العراق - بغداد / اعظمية ص - ب ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هـ ٤٤٣٦٠٤٤ - ٤٤٣٦٠٤٤



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

الإهداء

الى ولدي علي

مدخل
في السيرة الشعبية العربية

عبرت السيرة والملحمة الشعبية العربية بمختلف نصوصها ورواياتها عن الوجدان الشعبي وعن التوق للحرية وتأكيد الذات فردياً وجماعياً ، وقد كان هذا التداخل بين التوق الفردي لتحقيق ارادة الذات عن طريق الحصول على الأمنية (الحرية الفردية لدى عنترة وحرية الفرد والجماعة لدى سيف بن ذي يزن على سبيل المثال) هدفاً من أهداف الراوي وقبله المؤلف الشعبي وبعده السامع الشعبي .

لقد كتبت سيرة الملك سيف بن ذي يزن خلال القرن الخامس الهجري وهو قرن جابه واقع تجزئة على الصعيد السياسي حيث ضعفت دولة الخلافة المركزية ببغداد وترسخت الدولة الفاطمية في مصر والأموية في الأندلس وتوج كل ذلك بظهور البويهيين ثم السلاجقة ، لذا فقد كان

الوجدان الشعبي بحاجة الى صيغة حلمية موحدة ترمم ما تبعثر وتوحد ما تجزأ على صعيد الواقع .

لقد كان اختيار فترة سيف بن ذي يزن تاريخيا اختيارا موافقا للفترة التي دونت ورويت فيها سيرته[1] فلقد «كمن وراء التحديد الشعبي العديد من الأسباب التي كان يدرسها الشعور الشعبي فقد كانت في أعماقه الجمعية وحين دعت الضرورة تم استدعاؤها فاذا بها تتحدد بجوانبها الموضوعية والذاتية في الظروف السياسية المتشابهة بين مرحلة ماقبل الدعوة الاسلامية في الجزيرة وأواخر عهد الخلافة الفاطمية . »[2]

واذا كان سيف بن ذي يزن فردا تائقا الى الحرية الذاتية (حيث ينجيه الراوي الشعبي من مؤامرات قمرية ومن الاسر لدى سيره للحصول على كتاب النيل وهو قبل ذلك يقابل عند ولادته وفي طفولته الكثير من المشاق التي تصورها السيرة حتى يتم نضجه ويعرف دوره التاريخي بصيغته الأسطورية الشعبية) فانه عبر السيرة يعمد الى تحقيق

الحرية لمجتمعه بعدما حقق حرية ذاته .

واذا كانت بعض فصول الرواة التاريخيين مثل وهب بن منبه في كتابه «التيجان» قد وضعت لسيف مكانا تابعا لامبراطورية فارس فان ذلك كان جزءاً من فلسفة معادية للتفكير الوحدوي العربي ولجعل البطل العربي عاجزاً عن أن يقيم حريته دون تدخل أجنبي ، فقد كان ابن منبه يهودياً يهمه اثبات انحياز هذا البطل العربي ضد المسيحية المتمثلة في الرومان ودولتهم أيام السيرة فيما حسمت الرواية الشعبية بتفاصيلها هذا التداخل وتمكنت من وضع سيف في موضعه الصحيح كبطل شعبي عربي استعان بأهله في اليمن من أجل تحقيق أمل العرب في دولة مستقلة يحكمها ملك عربي[٣] .

وتأتي دراسة د . محمد رجب النجار عن «البطل في الملاحم الشعبية العربية» لتؤكد على هدف أخر لهذه الملحمة في «تخلص العقل العربي من قيود السحر والخرافة كما تخلص الفكر الديني من براثن الوثنية الكامنة اذ كانت صيغة التوحيد ولاتزال تشكل صيغة متقدمة للوعي الشعبي

الفردي والعام وهي صيغة عاشتها سيرة سيف بن ذى يزن وغذتها في كل تحركات بطلها» .

واذا كان الناس في الرواية والقصة الشعبية ـ حينا ـ وفي الأسطورة ـ خصوصاً ـ يبدون أكبر من حجومهم حيث «يتغير الوضع الطبيعي التي تتخذه الوقائع من بعضها بعضاً ثم تجري اعادة ترتيب الوقائع فأن هذا النوع من اعادة الترتيب هو بالضبط نوع الشمول عندما يخلق المجاز»(٤) ذلك أن صفة الشمول للسيرة الشعبية بكل تفاصيلها واستطراداتها وصفة المجاز صفتان مرتبطتان ببنية الملحمة والسيرة الشعبية حيث يعبر شمول الصورة عن الرؤيا البانورامية للراوي الشعبي وتعبر صفة المجاز عن المتحقق للبطولة داخل الملحمة الشعبية واستطاعة الأنسان ـ بطل الملحمة ـ تحقيق غاياته في تجسيد الحلم الشعبي الذي يريده السامع أو المتلقي .

لقد صور المؤلف الشعبي عنترة بن شداد ـ كما قرأنا جميعاً ـ أنساناً استطاع بداية أن يحرر ذاته من العبودية ،

عبودية المركز الأجتماعي له وعبودية اللون حيث حقق غايته الأولىٰ كفارس لقبيلة عبس ثم صوره انساناً استطاع تذليل الصعاب لتحقيق غايته الثانية (وهي أجتماعية وجماعية بالدرجة الأولىٰ) المتلخصة بالزواج من ابنة عمّه عبلة ، ثم استطاع بعد ذلك أن يتسيد الرأى والفعل في قبيلته بحيث كان الملك زهير لايرد له رأياً ولا تصرفاً .

وينبغي لنا هنا الأ نأخذ تفاصيل الصياغة الشعبية لصورة عنترة ببعدها او بمستواها القرائي الأول من حيث واقع تجسيدها لحكاية أنسان تحرر من العبودية وارتقىٰ مكانته داخل السلم الاجتماعي للقبيلة بل أن نأخذ ذلك بصيغة الصورة الحضارية لمجتمع الجاهلية الذي كان يموج بالاضطرابات القبلية والتشرذم ومحاولة القوتين السياسيتين المؤثرتين آنذاك ، الاكاسرة والقياصرة ، في التحكم بالمصير العربي ومقاومة العرب للمنجز السياسي غير العربي بمنجز حضاري واجتماعي وفلسفي بدأته السيرة الشعبية قبل الاسلام في شخصيتي سيف بن ذى يزن وعنترة وانتهت اليه

الحقيقة العربية مجسدةً في الدعوة الاسلامية التي أنجزت للمجتمع العربي صورته الحضارية المثلى الحارية كمجتمع موحد وموحد ورث أمجاد الحضارة الانسانية وطورها بالاسلام .

واذا نجينا النص العربي لألف ليلة وليلة من التشويهات الأعجمية التي تداخلت فيه وحرفته عن أصله كما فعل د . محسن مهدي[٥] في مقدمته الهامة لتحقيقه العلمي وجدنا أن في شخوص هذا السفر الشعبي الضخم ما يعين على استنتاج العلاقة بين السعي لتأكيد الذات وعلاقتها بتأكيد صيغة المجموع الحر ونجد ذلك في القصص التالية وغيرها كثير :

١ ـ حكاية الملك عمر النعمان وابنه[٦] الساعي نحو خير الناس وحريتهم وارتباط حكاية النعمان بالملك افريدون وعدوه ملك قيسارية .

٢ ـ حكاية نور الدين ومريم الزنارية التي تعد شخصيتها الأساسية .

٣ ـ حكايات السندباد وبحثه الدائم عن الحرية وسط جو المتعة والمغامرة وتأثيرات رواياته لحكاياته على المجتمع المصاحب له .

٤ ـ حكاية نعيم والحجاج .

٥ ـ قصة أنيس الجليس وابن خاقان .

٦ ـ قصة جلنار البحرية وابنها الملك بدر .

٧ ـ قصة قمر الزمان وولديه الأمجد والأسعد .

٨ ـ قصة الصياد والجني .

وغير ذلك كثير .

اننا هنا ينبغي أن نأخذ منطق وبنية هذه القصص المتداخلة مع مئات القصص الأخرى بمنطقها الدرامي الأساسي حيث تبدو العقدة الأساسية متشكلة من مجموعة من العقد ، وهذا يعني أن البحث عن الذات وعن حريتها في صيغ وتصرفات الشخوص الرئيسية في كل حكاية مرتبط بالصيغة العامة للحكاية وتداخلاتها الوظيفية وموتيفاتها داخل بناء الحكاية الأساسي ، وذلك أن القاص الشعبي هنا

لم يكن يهدف الىٰ تأكيد قيمة الحرية العامة في كل جزء أو نص بل الىٰ تأكيد حرية الفرد المرتبطة بصيغة الحرية العامة(٧) .

لقد استطاعت شهرزاد بطلة الليالي العربية وراويتها أن تنقذ ذاتها وبيتها من بطش الملك باستخدام وسيلة القص كهدف اتقائي للنكبة القادمة أولاً وتعليمي تهذيبي ثانياً استطاعت من خلاله الحصول علىٰ حريتها وأمنها كفرد وبالتالي الحصول علىٰ أمن وحرية وكرامة الجماعة وتهذيب عواطف الملك المطعون في رجولته وكبريائه . وهي بذلك تسهم في تأكيد ما ذهبنا اليه حول منطق القصة والملحمة الشعبية وأسباب صياغتها .

واذا أتجهنا الىٰ نص ملحمي شعبي آخر هو السيرة الهلالية لوجدنا بدايتها في سيرة الزير سالم أبو ليلىٰ المهلهل الذي ينبري في كل تفاصيل حياته «متحليا بكل فضائل وقيم البطل الشعبي الذي يرفض أن يطعن من الظهر أو يتامر أو يغتصب أو يتسلط»(٨) وهو في كل تصرفاته الانتقامية انما كان يسعىٰ لتحقيق العدالة كما يفهمها وكما سعىٰ اليها والىٰ تأكيد

ارادته كانسان وفارس في آن واحد .

واذا دخلنا تفاصيل السيرة الهلالية منتقلين الى الأجزاء التالية متوقفين تارة عند سيرة هذبا وابنها جابر وعذبا وابنها جبير ثم الشيماء زوج سرحان بن حازم بن جابر ورزق زوج الخضرا ثم تتبعنا سيرة ابي زيد والجازية ودياب والسلطان حسن ونافلة ودخلنا قصر الزناتي خليفة وابنته لوجدنا أن صورة تأكيد الذات وحريتها ثم تأكيد انتماء الذات الى المجموع صيغة عامة من صيغ هذه الملحمة الشعبية ومن مستلزماتها الدرامية(٩) اننا هنا لاننفي متأخرين الفرق بين السيرة الشعبية كنص درامي والملحمة كنص شعري ولكن الصياغة العربية لهذين العملين قد مزجتهما في أحيان كثيرة مزجاً يدفعنا لتأكيد الصورة الجديدة للعملين أو الصياغة العربية الشعبية لهما ، فلكل سيرة شعبية ديوانها الشعري او ملحمتها الشعرية المتداخلة معها عدا قلة قليلة . بعد هذا الاستطراد الذي نرجوه غير مخل ننطلق بالبحث الى سيرة حمزة البلهوان أو حمزة العرب الذي دافع

عن حقوق قومه التي اغتصبها الفرس وانتصاره عليهم وعلى الأحباش واستمر ر صورة سيرته متكررة في شخوص أولاده .

واذ تكون سيرة حمزة العرب مشابهة في بعض تفاصيلها لسيرة عنتره فان سيرة الأميرة ذات الهمة تبدأ تاريخياً بعد سيرة عنترة كما يقرر الأستاذ / فاروق خورشيد[١٠] بل هي تأخذ ابعادها حيث يحارب ابطالها : ذات الهمة وعبد الوهاب وأبو محمد البطال جيوش الغزاة الروم اذ هي تعكس صراع الأمة العربية بكاملها تجاه الغزو الأجنبي[١١] وهي بالاضافة الى ذلك تعكس صورة الحس الانساني للفرد العربي ومقاومته للظلم (الرباب أم جندبه وعبدها سلام وهشام بن عبد الملك وقتاله الشجعان وليلى والصحصاح المعاكس للقصتين الأوليتين بالاضافة الى فاطمة (شريحة) التي تستطيع الحصول على حريتها من سيدها لتغدو فارسة بني طي وأميرتهم المكناة بذات الهمة .

ان دراسة تأثيرات هذه السيرة الشعبية على سيرة

الظاهر بيبرس التي أوردها الأستاذ / خورشيد في كتابه اضواء على السيرة الشعبية المشار اليه تجعلنا نؤكد أن الراوي الشعبي يجد حريته في تأكيد بعض الثيمات الناجمة في سيرة أخرى ليبرويها كرة أخرى بل ان التداخلات والتشابهات والصور الشخصية المتكررة في سيرة واحدة لتشير الى حماس الوجدان الشعبي القاص الى التكرار والاطناب والاعادة في هيئات أخرى لنماذج الشخصيات الشعبية التي لديه.

ان سيرة الأمام على بن ابي طالب وسيره الى الملك الهضام بن الحجاف وقطعه الحصون السبعة التي تجري في أرض اليمن مثال للخيال الشعبي المستفيد من شخصية تاريخية جليلة القدر كالامام علي في رسم الصورة الشخصية للبطل الشعبي ومستفيدة ايضاً من أيام العرب الخالدة ، الا أن هذه السيرة لم تلق العناية التوثيقية الكاملة من قبل باحثي السيرة الشعبية العربية ومحلليها وربما كان ذلك ناجماً عن جو السيرة وعلاقتها بشخصية دينية هامة مثل شخصية الامام

كرم الله وجهه ، ولكننا نجد فيها تأكيداً لحيوية البطل العربي وهـو يسعى الى تحقيق القيمة العـامة للذات الانسـانية في سعيها الىٰ انتشال المجموع من جو العسف والخـرافة اثـر محـاربة بـطلها لعـابد الأصنـام الملك اليمـاني الهضـام بن الحجاف الباهلي الملقب بمرارة الموت .

خاتمة :

لقد ساعد الراوي الشعبي كثيراً في كل هـذه السير والملاحم على تأكيد قيمة الذات العربية لدى الانسان كفرد والذات كقيمة عامة ، ورغم تناقض المصطلحين وتعارضهما لأول وهلة فاننا نجـد أن البطل الشعبي العـربي قد سعى خلال السيرة الشعبية الى تأكيد القيمتين الاصطلاحيتين معا بحيث تداخلتا معا وغدتا كلا لايتجـزأ ووحدة لاانفصـام مباشر في داخلها ، وهو بـذلك يعبـر عن الذات العـربية والمجموع العربي معا في سعيهما نحو الخير بكل مفاهيمه وما يتعلق به من قيم كالبطولة والحرية والشرف والتوحيد والنبل ومقاومة الأجنبي والكرامة .

هوامش :

(١) انظر : ثريا منقوش : سيف بن ذي يزن بين الحقيقة والأسطورة فصل - الظروف التاريخية للسيرة ص ١٧٩ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٩ .

(٣) يأتي كتاب د . غالي شكري (أدب المقاومة) ليؤكد خطأ أن هدف الملحمة كان خاصاً بالعقدة اللونية ، بياض الساميين ومنهم سيف وسواد الأحباش الحاكمين متجاوزاً هدف القاص الشعبي في ذلك وواضعا اياه في خانة ضيقة من صور الاستنتاج العرفي الذي لايهم السامع الشعبي فعنترة نموذج للفارس العربي الذي لم يستطع اللون اضعاف دوره الريادي في السعي نحو الحرية وفي تأكيدها .

(٤) بيتر مونز : حين ينكسر الغصن الذهبي ، ترجمة : صبار السعدون ص : ٨٩ .

(٥) انظر د . محسن مهدي : كتاب الف ليلة وليلة من أصوله العربية الأولى - ليدن - ١٩٨٤ م .

(٦) يميل د . أحمد محمد الشحاذ في كتابه (الملامح السياسية في حكايات الف ليلة وليلة) الى اعتبار عمل ابن الملك مشابها لعمل روبن هود في السعي نحو العدالة (ص ٤٥) .

(٧) لعل من ضرورات البحث هنا ان نشيد بجهد د . محسن جاسم الموسوي في كتابه (ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الأنكليزي) وجهد الاستاذة / ناجية مراني في كتابها (آثار عربية في حكايات كنتر برى) حيث كشفا عن عمق

تأثيرات الليالي العربية على الأدب الأنكليزي خاصة والأوربي عموما ونتائجها في وضع اسطورة السيد الأسبانية والديكاميرون الايطالية والف دجال ودجال لديكنز ومئات القصص والدواوين الشعرية .

(٨) شوقي عبد الحكيم : الزير سالم ابو ليلى المهلهل ص ١٣ .

(٩) باسم عبد الحميد حمودي : شجرة الأنساب العامة لأبطال السيرة الهلالية ، مجلة التراث الشعبي العدد الفصلي الثالث ١٩٨٦ م .

(١٠) انظر فاروق خورشيد : اضواء على السيرة الشعبية - سيرة ذات الهمة ص ٤٣ وما بعدها .

(١١) المصدر السابق ص ٤٧ .

السيرة الهلالية .. الاصل والفرع

تنتشر طبعات السيرة الهلالية ورواياتها المتعددة تحت عنوانين رئيسين يكمل واحد منهما الاخر وهما علىٰ التوالي : «سيرة بني هلال» و «تغـريبة بني هـلال ورحليهم الىٰ بلاد الغرب»[1] .

ان كل جزء من هذه السيرة الشعبية التي تتوزع علىٰ ستة واربعين جزءاً «يختص كل جزء أو عدة اجزاء بقصة تكاد تكون متكاملة الامن خلال ترابطها ببقية حوادثها وابطالها مع بقية القصص»[2] .

ويغفل دارسون عديدون ـ عند دراستهم للسيرة او التغـريبة[3] القسم التمهيـدي منها وهـو قصة الـزيـر سـالم بـاعتبـارهـا الجـزء الاول من هـذا العمـل الفـولكلوري الملحمي[4] ، فيما تعد هذه القصة (تاريخياً) ممهدة للاحداث التي تليها رغم ان من الممكن ـ دراميأ ـ ان تعتبر قصة ذات استقلال خاص .

ومن الباحثين الذين درسوا السيرة الهلالية ككل غير مجزء أو مهتم بالسيرة والتغريبة دون الزير السالم الاساتذة د . عبدالحميد يونس(٥) وشوقي عبدالحكيم(٦) وفاروق خورشيد(٧) .

واذا كان مهما ان نثبت هنا ـ رغم كل الدراسات والبحوث ـ ان النص الاصلي المدون للسيرة الهلالية بكافة اجزائها مازال نصاً مخطوطا في المكتبة المركزية ببرلين فان الروايات المطبوعة المنسوبة له تعتمد علىٰ الاصل المروي شفاها باضافات متعددة وضعها المنشدون والرواة في سائر ارجاء الوطن العربي .

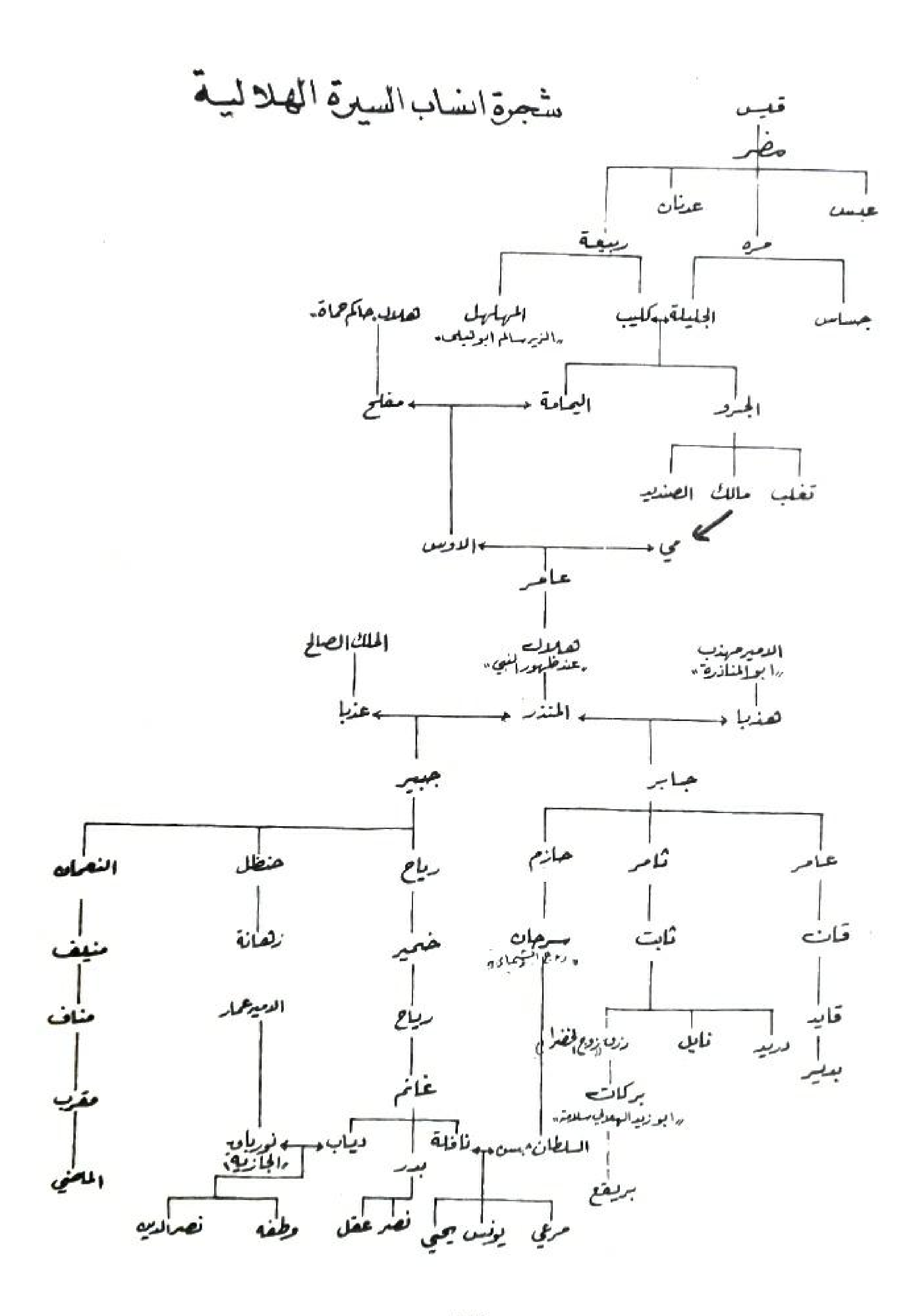
ان مصطلح السيرة هنا يحدد الصورة الدرامية الكاملة للحلقات الثلاث التي تبدأ بقصة الزير ابو ليلي المهلهل وتنطلق الىٰ جزء «السيرة» ثم تنتهي بالحلقة الثالثة او الجزء الثالث الخاص بالتغريبة وتغطي الحلقة الاولىٰ تاريخياً بدء تواجد العرب التاريخي حتىٰ مجيئ وفد هلال بن عامر لزيارة النبي محمد (ص) لتنطلق الحلقة الثانية في تصوير ماتلا ذلك

من غزوات للهلاليين واختراق لتحالفاتهم حتىٰ انتصارهم علىٰ الافرنج .

اما الحلقة الثالثة فتعنى بتصوير حركة الهلاليين في شمال افريقيا وفي تونس بالذات ووقوفهم ضد حاكمها الزناتي خليفة حتىٰ أنتصارهم عليه واختلافهم ـ فيما بعد ـ مع بعضهم البعض .

ان هذا التلخيص لايمكنه ان يفي بالغرض ومن هنا وجدت ان المناسب ان أوضح التفاصيل عن طريق رسم صورة لشجرة انساب السيرة الهلالية معتمداً علىٰ الطبعات والروايات المختلفة .

ان باحثين متعددين يعتمدون علىٰ الطبعة الحجرية الاولىٰ التي وردت بلا تاريخ فيما يعتمد اخرون علىٰ طبعة صبيح لتحقيق الصورة الشعرية والاجتماعية والميثولوجية للسيرة ومن هولاء د . الشحاذ و د . عبدالرحمن ايوب وشوقي عبدالحكيم وخورشيد و د . فائق مخلص فيما اعتمدت د . اليسون لريك علىٰ الرواية الشفهية المتعددة



شجرة انساب السيرة الهلالية
قيس
مضر
عبس
عدنان
ربيعة
مره
جساس
الجليلة
كليب
المهلهل
"الزير سالم ابو ليلى"
هلال حاكم حماة
الجرو
اليمامة
مفلح
تغلب
مالك
الصنديد
مي
الاوس
عامر
الامير مهذب
"ابو المنازرة"
هلال
"عند ظهور النبي"
الملك الصالح
هذبا
المنذر
عذبا
جابر
جبير
عامر
ثامر
حازم
رياح
حنظل
النعمان
قات
ثابت
سرحان
خضير
زهانة
منيف
قايد
دريد
نايل
رزق (زوج الخضرا)
رياح
الامير عمار
مناف
بدير
بركات
"ابو زيد الهلالي سلامة"
غانم
مقرب
بريقع
السلطان حسن
نافلة
دياب
نوريا
(الجازية)
بدر
الملحي
مرعي
يونس
يحيي
نصر
عقل
وطفه
نصر الدين

ان هذه الشجرة التي تبدأ باب العرب «قيس» لتوزع تفاصيل الفـروع بعد ذلك تعطي صورة واضحة للتسلسـل التاريخي لـلاحداث رغم مغالطات الرواة حيث نجد مايلي :

أ ـ ان الحلقـة الاولىٰ من سيرة بني هـلال العامـة تنتهي بالتسلسل الخامس من الانساب رأسيا وعلىٰ الشكـل التالي :

١ـ قيس	قيس	قيس	قيس	قيس	قيس
٢ـ مرة	مرة	ربيعة	ربيعة	ربيعة	مرة
٣ـ جساس	الجليلة	كليب	المهلهل	الضباع	همام
٤ـ	الجرو	الجرو	ليلى (سلمى)	شيبان	شيبان
٥ـ	الصنديد	الصنديد			

١- الصنديد	مفلح			
٢- حي	الاوس			
٣- عامر	عامر			
٤- هلال	هلال (عند ظهور النبي)	الملك صالح	الامير مهذب	
٥-	المنذر	عذبا	هذبا	
٦-	جابر + جبير	جبير	جابر	جابر
٧-			حازم	ثامر
			سرحان	ثابت
			السلطان حسن	رزق

ونلاحظ أن السلطان حسن هو واحد من ابطال الحلقة الثالثة المسماة بالتغريبة مع ابناء عمومته بركات بن رزق المشهور بابي زيد ودياب بن غانم وغيرهم .

جـ تأخذ الظهور الاخرى اعتباراً من رزق والسلطان حسن بن سرحان والامير عمار وغيرهم تفاصيل الحلقة الثالثة المسماة بالتغريبة والتي نلحظ فيها مايلي :

١ - في كتاب التغريبة يصعد حدث الزناتي خليفة عند الصفحات المائة الاولىٰ ثم يستمر وفي السيرة - وهي القسم الثاني هنا من السيرة بعامة - تبدأ تفاصيل الاصول (الازواج والانساب والفروع) .

٢ - يورد الراوي موضوع الزناتي خليفة كمقدمة داخلية ثم يتركه الىٰ حين مفصلاً في قصص جابر وجبير وشما (الشيماء)

٣ - يكرر الرواة قصة جابر وجبير فتجدهما في التغريبة ابنان للمنذر بن هلال بن عامر بن مفلح زوج اليمامة اخت الجرو وابنة كليب وتجدهما بعد ذلك ولدين لاخت

الملك الزحلان الذي لجأت اليه الخظرا بنت الشريف قرضاب وزوجة رزق (ابو بـركات الملقب بـابي زيد الهلالي سلامة) ورزق هذا ابن ثابت بن ثامر (اخ جبير الاول) ابن المنذر بن هلال بن عامر .

٤ ـ ان جسـاس بن مـرة بن قيس هـو اخ الجليلة التي تزوجها ـ في الحلقة الاولىٰ موضع البحث ـ كليب بن ربيعة بن قيس (وهو ابن عمها) وشقيق المهلهل ووالد الجرو وهولاء مع التبع اليماني حسان وشقيقته مدار تفاصيل الاحداث والديوان الشعري الذي سيكون موضع تحقيقنا .

٥ ـ لابد من الاشارة هنا اننا سنجـد في تفاصيـل الحلقة الاولىٰ زيارة للزير سالم الىٰ مدينة البصرة ووقائع له فيها وهي احداث لاتخضع للسياق التاريخي المعتاد اذ ان البصـرة لم تكن قائمـة زمن المهلهل كـما ان احداث السيرة الشعبية لاتخضع خضوعاً كلياً للمنطق التاريخي اننا اذ نشير هنا الىٰ هذه التفاصيل القليلة التي نراها

ضرورية للبدء بتفاصيل احداث وديوان الزير سالم نجد في تحقيق هذه الملحمة بكل اجزائها ضرورة فولكلورية عربية هامة ينبغي ان يتصدى لها اكثر من باحث لحيوية البناء الدرامي الشعبي فيها وللتداخلات الميثولوجية الموجودة فيها .

هوامش

١ - ينظر في ذلك

أ - سيرة بني هلال الكبرى - ط ٢ - ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ مطبعة مكتبة المشهد الحسيني - القاهرة .

ب - تغريبة بني هلال ورحيلهم الى الغرب - طبعة مؤسسة المعارف بيروت - ط ٣ سنة ١٩٨٠ .

جـ - تغريبة بني هلال ورحيلهم الى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة - دار عمر ابو النصر وشركاءه - بيروت ١٩٧١ .

ء - الفصيح في لغة الهلالية - مقال للدكتور عبدالعزيز لبيب - مجلة المأثورات الشعبية - الدوحة - قطر - العدد ٢٢ يوليو ١٩٨٨ .

هـ - تغريبة بني هلال ورحيلهم الى بلاد الغرب - القاهرة - مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده - دون تاريخ .

٢ - د . احمد محمد الشحاذ - الملاحم والسير الشعبية العربية - مجلة التراث الشعبي - العدد الفصلي الثاني لسنة ١٩٨٦ - ص ١٤٩ .

٣ - انظر دراسات اليسون لريك و د عبدالرحمن ايوب وطبعة صبيح وغيرها بالاضافة الى مقالة د . الشحاذ اعلاه .

٤ - شوقي عبد الحكيم - الزير سالم ابو ليلي المهلهل - بيروت - ط ١ ١٩٨٢ .

٥ - د . عبد الحميد يونس - الهلالية في التاريخ والادب الشعبي - القاهرة - د . ت .

٦ - فاروق خورشيد - في الرواية العربية - عصر التجميع - القاهرة - ١٩٨٠ .

ملحمة الزير سالم

الاحداث والديوان الشعري

مدخل

لهذه القصة العربية والسيرة الملحمية الفذة التي تتداخل فيها الازمان والحكايات ديوانها الشعري الخاص المروي بلهجات شتى حسب صيغة الرواية في هذا القطر العربي او ذاك .

ولقد جمعت ابيات الديوان من الرواية العراقية للملحمة بطبعة النجف عام ١٩٦٧ ومن الرواية المصرية نقلا عن كتاب الاستاذ شوقي عبد الحكيم (الزير سالم ابو ليلى المهلهل) ومن كتاب (القصة العربية القديمة) للاستاذ محمد مفيد الشوباشي ومن كتاب (الاكليل) للهمداني ووجدت ان رواية الشعر لاتتوازى دوماً بل يكمل بعضها بعضاً كما سيأتي عند ايراد النصوص .

ومن جانب آخر فقد اضطررت للتيسير وضع صيغة

مبسطة لظروف الابيات المروية والمنشدة على السنة الابطال ايضاحاً لمشاهد الملحمة دون اطالة .

اني اذ ادعو لوضع صيغة عربية موحدة للملاحم الشعبية العربية وتصحيح اغلاط الرواية اجد ذلك ضروريا لتحقيق جزء من وحدة التراث الشعبي العربي .

ذات يوم سأل التبع حسان اليماني بن التبع اسعد وزيره نبهان : هل يوجد من هو اعظم مني في الارض ، فاجابه الوزير «يوجد خارج البحار عرب من اهل الشجاعة يقال لهم بنو قيس وهم من اولاد مضر وكان ان صرخ مقرراً الحرب وانشد يقول :

يقول التبع اليمني المسمى
بحسان فما للقول زورا
ملكت الارض غصباً واقتدارا
وصرت على ملوك الارض سورا
وطاعتني الممالك والقبائل
وفرسان المعامع والنمورا

وقـد أُخـبـرت عـن بـطل عـنـيـد

شـديـد البـأس جبـاراً[1] جسـورا

وقـالـوا انـه يـدعـىٰ ربـيـعـة

امـير قـد حـوىٰ مـدنـاً ودورا

تـولىٰ الارض في طـول وعـرض

فـكم اخـرب وكـم شـيـد قـصـورا

فـقـصـدي الـيـوم اغـزوه بـجـيش

واتـرك ارضـه فـقـراً وبـورا

اسـير بهـم الىٰ تـلـك الاراضـي

وامـلك لـلقـلاع ولـلقـصـورا[2]

ويـغنـم عسـكـري منهـم مـكـاسـب

واعـطيـهـم بـنـات كـالـبـدورا

ويـبـقـىٰ الحـكـم لي بـراً وبـحـرا

ويصفىٰ خـاطـري بعـد الكـدورا[3]

ويغزر حسان بجيشه ارض الامير ربيعة امير بني قيس ويقتل اميرهم بعد ان طلب منه تقبيل قدمه فرفض فيخضع

بنوقيس له وينصب الامير مرة بدلاً من الامير القتيل وينشد قائلاً :

يقـول التبعي المـدعـو اليمـاني
ايـا مـرة لـكـم مـني الامـاني
الا يـا قـيس روحـوا لا تخـافـوا
فقـد سدتم[٤] عـلىٰ اهـل الـزمـان
ربـيـعـة انـت يـا مـرة بـدالـه
كـبـير الـقـوم مـن قـاص ودان
واولاده فـهـم مـوضـع ابـوهـم
وانـت كـبـيرهـم فـيهـم تـعـاني
ولـكـن حـلتي لا تـسـكـنـوهـا
وكـونـوا في امـان مـدى الـزمـان

بعد سنوات كان الامير مرة قد استعد لزواج اخته جليلة من ابن اخيه كليب لكن تبع اليمن خطبها لنفسه بواسطة وزيره الحكيم نبهان الذي بين لمرة مخاطر الرفض مذكراً اياه بقتل ربيعة فاستمهل مرة نبهان واجتمع بكليب الذي طلب

منه الموافقة على ان يقوم وصناديد قومه بقتل تبع ليلة عرسه وهكذا كان ورحل موكب جليلة الى بلاد الشام مقر حسان واتخذ كليب لنفسه زي مهرج اطلق عليه اسم قشمر بن غرة وقد ضم الموكب صناديق محملة بالرجال المستعدين للتحرك لحظة الاشارة وقبل وصول موكب بني قيس قصر التبع ضرب الرمّال (تحت رمل) ثم انشد يقول امام حسان :

قــال الــفــتى الــرمــال صــادق
سـقــاني الــدهــر كــأس المــرارا
تبعت الــرمــال انــا كم كنت طفــلا
وقــلــبــتــه يمين مــع يــســارا
ولا احــد مثــلي بــالــرمــال عــارف
ولا غــيــري يــعــرف كــيــف ســارا
اخط بــالــرمــال بــاربــع امهــات
وولــد الــصــغــار مــع الــكــبــارا
الا يــا امــير تــبــع يــاملــكــنــا
يــا عــز الــغــراري يــوم غــارى

اقلك عن التقادير والجنائب

وتحسب ان جابوا لك تجارا

جوا يا ملك هم يقتلوك

ويدعون القصر بعدك دشارا

صناديق التي لك حملوها

بها ابطال بالعدد امارا

يريدون قتلك يا ملك عاجل

لهم ثأر عليك واي ثارا

وهذا قد اعلمتك يا مسمىٰ

وبالدنيا يشيع لها خيارا

اما ضاربة الودع الثانية واسمها حجلان فقد تمكن القيسيون من رشوتها بثلاث بدلات حرير فقررت مساعدتهم علىٰ اغتيال الطاغية فدخلت علىٰ الملك والرمل بين يديها وانشدت تصف محاسن الجليلة :

تقول العجوز التي شاهدت

مليحة تريح العنا والصدود

يـامـير تبـع يهنيـك فيـهـا السعـد
واقـبـل الخـير لـك والـسـعـود
اتـوك بـنـو قيس اهـل الـسـمـاح
وجـابـوا لـك الخيـل ثـم الـنقـود
وجـابـوا الجليلة لـشخصـك حليلة
بـخـديـن حمـر وعـيـنـين سـود
وقـامـة طـويـلة كـعـود الـقـنـا
فـوق الـكـتـاف تـرخـي الجـعـود
بشعـر طـويـل وشـعـر كـحـيـل
بـلا جـر مـيـل تـصـيـد الاسـود
حـواجب كـما قـوس تـرمي الهمـوم
وذات خـزام الـذهـب علىٰ الـنهـود
وذات شـفـاف رقـاق نـظاف
عـقـايـل طـرايف تـزيـل الـنكـود
ولهـا وجـه كـبـدر بـلـيـلة قـدر
ووجـنـات حمـر كـما الـورود

وجسم رقيق وريق رحيق

وسنان لولو سبت الورود

لها عنق كعنق الغزال

وطوق الذهب يوقد وقود

كتاف كالعاج مثل الزجاج

والنقش مواج فوق الزنود

وكفين اطرى من الياسمين

من قد حواها ينال السعود

وصدر كاللوح خلقه الاله

وقد زين الصدر زوج النهود

قد زينوا بنو قيس لك عروساً

تجلي لاجلك كل هم وقود

للملك حقاً قد احضروا

مليحة خلالها يزيل النقود

فارسل وراءها وخلي المحال

واسمع كلامي واجلي الصدود

وادخــل عــلىٰ بــنــت مــرة وكــن
لــطيــفــاً بـقــطف ثــمــار الــنهــود[5]

التهبت نـار الشوق لـدىٰ حسـان وادخـل الموكب القيسي المدينة واستقبل جليلة وصناديقها المحملة بالرجال وامـامهـا المهـرج قشمـر بن غـرة يـرقص ويغني وسط الاحتفالات حتىٰ دخلت وحسان غرفتهما وقشمـر (كليب) امامهما يدعو حسان ان يطلب من جليلة الغناء فوافقت شرط ان تغلق الابواب فامر التبع بذلك وانشدت جليلة :

لــقــد قــالــت جــلــيلة بــنــت مــرة
شــربــنــا الخــمــر بــين الامــارة
شــربــنــا الخــمــر في كــأس
فــزال العقــل واصبحنــا سكــارىٰ[6]
بــحضــرة تــبــع الملك المــســمــىٰ
بــحــســان اذا مــا شــن غــارة
الا يــا حــارس لــلبســتــان صــنــه
وان فــرطــت فــيــه الــطير طــارة

وفي الرواية المصرية تقول جليلة :

ما قالات جليلة بنت مرة
شربت الخمر ما بين الامارة

شربنا الخمر في كاسات جوهر
فزال العقل وصبحنا سكارى

بحضرة تبع الملك المسمى
بحسان اذا ما شن غارة

وقد امسيت في قبضة يديه
ومن حبي شعل قلبي بناره

الايا حارس البستان صنه
وان فرطت في الطير طاره

هنا ازداد شوق حسان وعلت انغام الموسيقى وطلب حسان من قشمر ان يرقص بسيفه هو لا بالسيف الخشبي الذي يحمله فاخذ قشمر (كليب) سيف حسان ورقص به وهو يرتدي الدرع والخوذة ثم هجم على الملك واعلن عن نفسه وعن نيته قتله ثأراً لمقتل ابيه ربيعة وعندما ادرك حسان

قرب موته انشد يقول[٧] :

يـقـول الـتـبـع المـلك الـيـمـاني
لهـيـب الـنـار تـشـعـل في فـؤادي
امـير كـليـب يـا فـارس ربـيـعـة
ويـا حـامـي الـنـسـا يـوم الـطراد
اريـد الـيـوم ان اعـلـمك شـيئـاً
لـتـعـرف حـال اخـبـار الـعـبـاد
فـمـوسىٰ كـان في الـدنـيـا نـبـيـاً
لـه الـتـوراة اعـطت لـلرشـاد
وداود الـنـبـي قـد جـاء بـعـده
يـبشـر بـالـزبـور اهـل الـفسـاد
وعـيسىٰ بـن مـريـم جـاء ايـضـاً
بـانجـيـل الخـلاص لـكـي يـنـادي
وعـنـدي قـد تـبـين بـالمـلاحـم
بـانـك قـاتـلي دون الـعـبـاد
وبـعـده شـاعـره تـنـزل عـليكـم
وعـبـدي يـذبحـك بـين الجـمـاد

وانت برمح جساس ستطعن

وتفتن بين قيس في البلاد

وتكتب في دماك على البلاطة

لمن بعدك لتشتيت الاعادي

ويأتي الزير ابو ليلي المهلهل

فيصلي الحرب في كل البلاد

ويقهر كل جبار عنيد

يضرب السيف في يوم الجلاد

وتأخذ الجليلة لك قرينة

وتحظى بالمسرة والمراد

ويظهر لك غلام بعد موتك

يسمى (الجرو) قهار الاعادي

يقتل الى جساس خاله

واما الزير تقتله الاعادي

وسيف ذو يزن بعدك يظهر

وتصحبه السعادة في العباد

ويبقى ملكه سبعون عاما

وبعد ذلك يطوى في الوهاد

ويظهر له ولد يدعوه دمر

شديد البأس مرفوع العماد

فيملك في بلاد الشام بعده

يجيب الماء من اقصى البلاد

وبعده يظهر المدعو بعنتر

يهين الضد في يوم الطراد

وبعده يظهر الهادي محمد

يقيم الدين ما بين العباد

واصحابه معه عشرة كوامل

كرام الناس سادات البلاد

ابو بكر وسعد مع سعيد

وطلحة والزبير ابن الجياد

وعثمان مع عمر وعلي

وعامر مع حسين اهل الرشاد(٨)

يموت الهاشمي ويصير خلف

على الاحكام بعده بالعباد

ابو بكر يموت بلسع حية

وبعده عمر يقتل بالطراد[9]

علي بالسيف يرديه ابن ملجم

يتيماً انتشي بين الولاد

وبعده بنوامية سوف تحكم

سنين كثيرة ما بين العباد

بعد قتل كليب لحسان في دمشق اخرج الفرسان القيسية من الصناديق واعلنوا الثورة على اتباع حسان الذين خضعوا فيما توج كليب ملكاً للعرب وزيره النبهان وتزوج ابنة عمه الجليلة فيما قام عمران اليماني بالهجوم من صنعاء على دمشق ودار القتال طويلاً بين الفرسان حتى بارز كليب عمراناً وقتله فولى التبابعة الادبار .

بعد فترة اجتمع بنو مرة فوجدوا في الطالع ان اميرهم جساس يقتل كليب ويظهر الزير ويأخذ بثأره فقابلوا اختهم

الجليلة التي اشارت بعدم قتل الزير وهو في المهد وانشدت تقول :

مقالات الجليلة بنت مرة

تعالوا اخواني اصغوا لقولي

تريدون قتل ابو ليلي المهلهل

اخوه كليب خلفه مثل غول

ومن خلفه هدير (عدير) زيرقان

سباع الغاب في اليوم المهول

وست واربعون بنو ابيه

يجركم راكبين علىٰ الخيول

وتركب خلفهم كل الفوارس

فوارس تغلب مثل الفحول

ولكن سوف ارميه بحيلة

تحير كل اصحاب العقول

ويبقىٰ كليب يقتله بيده

ويجعله طريح علىٰ السهول[١٠]

هنا تتسارع احداث الملحمة فنجد ان الجليلة تتهم الزير سالم بمراودتها - وهي بذلك تختصر حديثها السابق عن صغر سن الزير - وتنشد جليلة امام زوجها كليب وهي تبكي

مقالات الجليلة بنت مرة

كليب انت قيدوم السرايا
وتحكم في القبائل والعشائر
وفي كل المدائن والقرايا
وحكمك نافذ في كل ارض
وتخدمك الملوك مع الرعايا
واني بنت عمك يا مسمى
ومثلي ليس يوجد في البرايا
اتأبي الزير اخوك في غيابك[11]
يريد فضيحتي بين الصبايا
قبضت عليه في عنقه فولى
وراح بسرعة وسط الخلايا
الا يامير قول لي كيف تعمل
واقتله وارديه المنايا

وان لم تقتله حالاً فاني

اروح اليوم في وسط الخبايا

وتبقىٰ الناس تشتم في قفانا

وتبلىٰ بالدواهي والرزايا

وهذا الامر لا يصلح لمثلك

كريم الاصل عكار المطايا

فاقتله واخلص من بلاه

ولا تخش آثاماً ولا خطايا

فقتل الزير اصوب من حياته

لانه خائن دون البرايا(١٢)

غضب كليب واهان اخاه وارسله مع الرعاة واخبر الجليلة بذلك فازداد غضبها وانشدت امامه .

تقول الجليلة يا محفوظ(١٣)

اتاني العلم بحال اخوك

وصار الناس بقيل وقال

وكل البدو عليك ضحوك

انت امير كبير القوم

وقيس وحمير قد هابوك[١٤]

ويمتحن كليب اخلاص اخيه في عدة مناسبات فيوقن منه وينشد امام زوجته

يقول كليب من شعر نفيس

قصيد ما نظمه قط قائل

جليلة اسمعي يا بنت عمي

ارىٰ عقلك بهذا اليوم زائل

أأقتله ليشفىٰ اليوم قلبك

ومنه قد ظهرت لنا فعايل

سباع الغاب هابت من لقاه

كذاك الخيل صيرها جفايل[١٥]

ثلاث الوف يلقاهم بصدره

من الشجعان فرسان القبائل

تقولي اقتله وارتاح منه

فقولك جهل ماهو قول عاقل

فـاني لا ابـيـعـه بـالـف مـثـلك

ولـو مـهـما جـرى مـنـه فـعـايـل

اراك تـطلبـي قـتـله سـريـعـاً

فـقـولـك عـنـه لـيس لـه دلائـل

فقـولـك يـا جليلة قـول بـاطـل

فـحـاشىٰ الـزيـر ان يـتـبـع رذائـل

فـقـلي مـن كـلامـك لا تـزيـدي

ايـا بـنت الامـاجـد والاصـايـل[١٦]

هنا تغير جليلة خطتها وتدعي المرض وتطلب من كليب ان يأتيها الزير بكاسين من حليب السباع وتنشد قائلة:

مـقـالات الجـلـيـلـة بـنـت مـرة

كـليب اسـمـع لي يـا ابـا اليـمـامـا

وانـت الـيـوم مـلك في الـبـوادي

يـاليـت الحـق بـك يـا امـير دامـا

وتحـكـم يـا مـلك شـرقـاً وغـربـاً

مـن ارض الـروم لـلكـعـبـة دوامـاً

وكـم ابـراج مـن ذهـب وفـضـة

جـواهـر تشـرق جنـاح الـظلامـا

ولا لـك طـفـل تجي فـيـه ذكـرك

سـوى سبـع بنـات مثـل الحمـامـا

اتـاني مـنـك سبـع بـنـات اتـاني

ولا جـاني مـنـك ذكـر غـلامـا

وقـالـت دايـتي لي يـا جـليـلة

معي لـك عـالم يبـري الـسقـامـا

لبـان لبـوى بـصـوفـه احمليـهـا

تـروحـي في ذكـر حـامـل قـوامـا

فـنـادي الـزيـر واخبـره سـريـعـاً

ادام الله عـمـرك بـالـسلامـا(١٧)

ويطلب كليب من اخيه لبن السباع فينفذه ويعود حاملاً رأس اسد ولبوة واشبالها السبعة من ورائه وبيده حق مملوء بالحليب من اللبوة وعندما وقف امام اخيه وزوجته انشد المهلهل قائلاً :

يقول الزير قهار المواكب

رماني الدهر في كل المصائب

فلا تسمع اخي قول الاعادي

لان الضد شوره ليس صائب

يشوروا عليك في رأي وخيم

ليسقوك ياأخي كأس المتاعب

فاهل العقل لا تسمع لانثىٰ

لان كلامها لا شك كاذب

فاعلم يا اخي في ما جرىٰ لي

بهذا اليوم في وادي الثعالب

وجدت السبع وسط الغاب دائر

كأنه جائع للصيد طالب

فلما شافني حالا اتاني

وكشر عن اسنانه والمخالب

فصحت عليه صيحة جاهلية

فقدم يا اخي هاجم وطالب

حـزت بخنجـري راسـه فـا هـوىٰ

عـلىٰ وجـه الـثـرىٰ لـلارض قـالـب

اتـتـني بـعـده لـبـوة مـغـيـرة

فـلـما شـفـتـهـا ولـيـت هـارب

رأيـت اشـبـالهـا سـبـعـة وراهـا

فـداروا جـهـتي مـن كـل جـانـب

فـلـما شـفـتـهـم جـاءوا لـنـحـوي

طلعت لـشـجـرة ذات الـشـنـاغـب

فـداروا حـولهـا فـرمـيـت نـفـسـي

فصـرت لـظـهـرهـا بـالحـال راكب

حـزت لـرأسـهـا ومـلأت حـقـي

حـلـيـبـاً بـعـد نـلـت المـآرب

ورأس الـسـبـع والـلـبـوة قـطـعـتـه

عـلامـة لـلاغـارب والاقـارب

وسـقـت اولادهـا الـسـبـعـة امـامـي

فـلـما صـرت في وسط المـضـارب

فــلاقــتــني جمــيــع رجــال قــومــي

فــحــيــاني الابــاعــد والاقــارب

هــذا مــا جــرىٰ لي في نهاري

ومــا قــاسيــت مــن هــول المــصــائــب[١٨]

هنا تحاول جليلة رسم بعض المكائد للزير سالم لكنه ينجو منها ويطلب من اخيه ان ينعزل للراحة في بئر سبع فيوافق كليب ويغادر المهلهل مع ابن عمه همام اخو جليلة والامير جساس الىٰ فلسطين مدة ثلاثة اعوام وهنا تدخل - الروايتان المصرية والعراقية - الىٰ مسرح الاحداث شخصية سعاد اخت التبع حسان او البسوس التي تريد الثأر لاخيها فتزور مضارب الامير جساس ومعها ناقتها وتطلب جيرته كشاعرة وتنشده قائلة :

تــقــول سـعــاد مــن قــلب مــوجّــع

زمــان الـــسـوء ابــقــانــا ذلائــل

وبــعــد الــعــز قــد صــرنــا اذلا

وبعــد السمن قــد صــرنــا هــزائــل

وذا يبكي وذا يضحك ويلعب

وذا يندب عياله والحلائل

فبعد ان كنت في خير ونعمة

بغربتنا وتشتيت الشمائل

ادور علىٰ المناصب والامارة

دعانا الدهر كالطلاب سائل

سمعت بذكركم يا آل مرة

وانزل في القرايا والمنازل

ايا جساس يا فخر البرايا

ويا كهف اليتامىٰ والارامل

قصدتك لاتخيب فيك ظني

ايا ابن الاماجد والاصائل

فاجبر خاطري ربي يجبرك

ويعطيك السعادة والفضائل

فكم اوهبت من مال ونوق

وكم فرقت من خيل اصائل

فانت اليوم بين الناس فرداً
ثناه مشاع في كل القبائل
عديم المثل ما بين الامارا
وفيك تفاخرت عربان وائل
عساك اليوم تنعم لي بمال
ولا تصغي الى واش وقائل
فارجع بالغنائم والعطايا
وبالخيل المسوّمة الصوامل

فاجابها جساس مرحباً :

قال جساس بن مرة يا عجوز
مرحبا بك جاورينا بلا بطا
مرحباً بك مرحباًبك مرحباً
عدد ما مشت الركائب بالوطا
في قدومك حلت البركة لنا
يا بشرى بالخير مع كثير معطا

اســرحــي ثــم امــرحــي في حيــنــا

مــا اغــيــظك لــو بــدامنــك خــطا

ومضت فترة اخذت فيهـا سعاد البسـوس تحـرض جساسا علىٰ كليب لتسلطه علىٰ بني مرة وتعديه عليهم وسمع كليب بتحريض العجوز واشتداد المريين عليه فطلب عقاب الشانئين له من جساس فلم يفعـل ثم اتفق ان قتل عبيـد كليب نـاقة البسـوس (سراب) فـطلبت ديتها قتـل كليب وتشاور جساس مع اهله وجدد عهده معهم وقرر قتال كليب لكنهم نصحوه بالمراسلة معه وهنا تصور الـرواية المصـرية شعور كليب بقرب ضياع ملكه ودعوته للزير بالعودة لدياره حيث انشد قائلاً :

اخـي ســالم اسـمـع مــا اقــول لــك

فــفــكــرك ديــره والــذهــن لــيــا

اراك الــيــوم في زهــو وســمــو

لاتــدري بمــا قــد حــل فــيــا

بــنــو قــيس قــد وقــعــوا بــحــلف

وجــســاس نــوىٰ يــركــب عــليــا

فقوم وشد عزمك يا مهلهل
لانك انت جبار عتيا
والا راحت البلدان مني
وصرنا مهزلة عند البقية

فاجابه الزير سالم

يقول الزير ابو ليلي المهلهل
انا لي في الحرب عزماً قويا
سباع الغاب خافت من قتالي
وتخشاني ولم تقدر عليا
فاذهب يا كليب ولا تبالي
واحكم في القبائل بالسويا
فان جارت بنو بكر وخانت
فلن اترك منهم اخي بقية

وهنا تكون سعاد (البسوس) قد تابعت عملية التحريض لقبائل بني مرة وراحت تنشد ما عرفه العرب بالموثبات

لعمري لو اصبحت في دار منقذ

لماضيم سعد وهو جار لابياتي

ولكنني اصبحت في دار غريبة

فانك في قوم على الجار اموات

ودونك اذ وادى اليك فانني

محاذرة ان يغدروا ببنياني

وسر نحو جرم ان جرماً اعزة

ولانك فينا لاهيا بين نسوان

فيبشرها جساس خيراً ويبعث لكليب برسالة يطالبه فيها بثمن الناقة (وهو يعلم انه سيرفض) فيما يورد الراوي الشعبي ان البسوس قد استطاعت الحصول على الرسالة من عبد جساس واضافت كلمات تهديد منها مع هذين البيتين :

امير كليب يا كلب الاعارب

ايا ابن العم لاتكثر عليه

فلازم اذبحك في حد سيفي
وانت شبيه حرمة اجنبية

وعندما قرأ كليب غضب وضرب عبد جساس وطرده فعاد الى مولاه صارخاً فنادى جساس قومه لقتال بني ثعلب قوم كليب وهو ينشد :

يقول جساس ونار القلب مشتعلة
طي الضمائر لها يا قوم لهيب
يا قومنا اسمعوا قولي واصغوا لي
قول صحيح بلا قول ولا تكذيب
كليب خلي احوالنا عبرة
حكم البلاد مشارق ومغيب
وليس يحسب لنا قدر ومنزلة
الكل عنده غنم هو بينهم ذيب
ناقة نزيلي ذبحها ما خشي احد
اجرى الي دمها شبه الانابيب

اتـت عجـوز فـالـقت جلد نـاقتـهـا

بـعـدمـا بـكـت بـدمـع سـكـيـب

تـنـهـدت ثـم قـالـت يـا ولـد مـرة

ابـن عـمـك كـليـب هـليـك يـعـيب

اهكـذا يـا كليـب يفـعـل في نـزيلك

مـا لـك قـيمـة عنـده ولا تـرهـيـب

فقلت لهـا اصبـري يـا عجـوز عـلىٰ

فـانـا لـك مـنـه ثـمـنهـا اجـيـب

ارسلت لـه ابـو الـيقـظان عبـدي

بـكتـاب مـا فـيـه اسىٰ ولا تـعتـيـب

شق الكتـاب وادمىٰ العبـد يـضـربـه

من كثـرة الضـرب مـا اظنـه يـطيب

اتـرضـون المـذلـة يـا اهـل قـومي

الـذل مـا يـرضـاه سـوىٰ كـل معيب

دار نقاش بين آل جساس حول قتل كليب من اجل ناقة وعاد جساس الىٰ البسوس ليطلب اليها ان توافق علىٰ

اخذ ثمن الناقة لكنها رفضت وطلبت منـه رأس كليب او يكون متصفاً بعدم القدرة علىٰ حماية دخيله فوعدها خيـراً وذهب الىٰ حيث كليب (وعبد البسوس يتبعه ويحرضه) حتىٰ استطاع ان يغدره وطعنه برمحه من الخلف فسقط يتخبط بدمه فندم جساس واخـذ يقبله ويبكي فقال كليب منشـداً وهو يحتضر :

يـقـول كليـب اسـمـع يـابـن عـمـي
ايـا جـسـاس قـد اهـرقـت دمـي
ايـا غـدار تـطـعـنـي بـرمـح
ولـسـت انـت في الميـدان خـصـمـي
واشـمـت الاحـاسـد والاعـادي
وبـاتـت اخـوتي تـبـكـي وامـي
عـلىٰ نـاقـة اتـقـتـل ابـن عـمـك
امـير كـريـم مـن لحـمـك ودمـك
بـيـوم الـضـيق كـان يـزيـل همـك
ويـردي الـضـد في يـوم الـنـزال

وهنا يفارقه جساس باكيا الى اهله ويتقدم منه عبد سعاد (البسوس) اخت التبع حسان ليحتز رأسه ولكنه يستهمله ليكتب وصيته الى اخيه المهلهل بعود غطسه بدمه وكتب :

يقول كليب من ربيعة
فدمعي فوق خدي كالقناه
جفاني الدهر وارماني سقيم
فهذا الدهر كم مثلي فناه
خرجت انا على مهري اسير
فليس معي انا الا العصاه
فاذا ابن مرة جاء خلفي
يريد قتلي وابليس طغاه
ضربته بعصاي فوق ظهره
تقنطر راح من فوق الوطاه
اتي من خلفه عبد غريب
سريعاً اركبه وركب حداه

فـاسـتـعـد وجـاني في سـرعـة

ونـاره بـالحـشـا زادت لـظاه

قـال لي ديـر وجـهـك يـا ابن عـمي

يـريـد الـعـذر مـني بـالـقـاه

فـاحـكـم طـعـنـة فيَّ سـريـعـاً

وراح جـسـاس هـارب بـالـفـلاه

هـديـت لـك هـديـة يـا مهـلهـل

عشـر ابـيـات تـفـهـمهـا الـذكـاه

هذا ما جاء في الرواية المصرية (وبعدها الابيات) اما الرواية العراقية فتصور الوصية المشهورة كالتالي :

يـقـول كـليـب من سـادة ربـيـعـة

فـدمـعي فـوق خـدي كـالـفـنـاه

خـرجـت انـا عـلى مـهـري اسـير

فـليس بيـدي انـا سـوى الـعـصـاه

فـاذا ابـن مـرة جـاء خـلـفـي

يـريـد قـتـلي وابـليس طـعـاه

ضـربـتـه بـعـصـاتي فـوق ظـهـره

تـقـنـطـر راح مـن فـوق الـوطـاه

اتى مـن خـلفـه عـبـد غـريـب

سـريعـاً اركبـه ووقـف بـالـفـلاه

يـاحـاكـم طـعـنـة في سـريـعـاً

وراح جـسـاس هـارب حـداه

هـديت اليـك هـديـة يـا مهلهـل

عشـر ابيـات تـفـهـمهـا الـذكـاه

اول بـيـت اقـول اسـتـغـفـر الله

الـه الـعـرش لا يـعـبـد سـواه

وثـاني بـيـت اقـول المـلك لله

بـسط الارض ورفـع الـسـمـاه

وثـالـث بيت نـوصي بـاليـتـامىٰ

وحـافظ الـعـهـد لاتـنـسـىٰ وفـاه(١٩)

ورابـع بـيـت اقـول الله اكـبـر

علىٰ الـغـدار لا تـنـسـىٰ اذاه

وخـــامس بـــيـــت جـــســـاس غـــدرني

انــظر الجــراح يــعــطيــك الــبــاه[٢٠]

وســادس بــيــت قــلت الــزيــر اخــي

شــديــد الــبــأس قــهــار الــعــداه

وســابــع بــيــت ســالم كــون رجــل

لاخــذ الــثــار لاتــعــطي وبــاه[٢١]

وثــامــن بــيــت بــالــك لا تخــلي

لا شــيــخ كــبــير ولا فــتــاه

وتــاســع بيت بــالــك لا تــصــالــح

وان صــالحتــك شــكــوتــك لــلالــه

وعــاشــر بيت ان خــالــفت قــولي

انــا ويــاك عنــد قــاضي الــقضــاة[٢٢]

وركض عبد البسوس ليبشر سيدته وعاد جساس الى والده مرة بين الفرح والحزن ورحلت البسوس في ليلتها وقد ادركت ثأرها وانشدت جليلة حزينة .

فــعــل جــســاس علىٰ وجــدي بــه

قــاصــم ظــهــري ومــدن اجــلي

يا قتيلا قوض الدهر به
سقف بيتي جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثته
وانثنى في هدم بيتي الاول
خصني قتل كليب بلظى
من ورائي ولظى مستقبلي
ليس من يبكي ليومه كمن
انما يبكي ليوم ينجلي
انني قاتلة مقتولة
ولعل الله ان يرتاح لي[٢٣]

اما رواية الابيات لدى شوقي عبد الحكيم فتتم على الوجه الثاني مأخوذة من الفصحى والعامية وقد أتت الابيات رداً على غضب نساء كليب على الجليلة واتهامها بالشماتة ولومها وتقريعها :

يا ابنة الاقوام ان لمت فلا
تعجلي باللوم حتى تسألي
فاذا انت تبنيت الذي
يوجب اللوم فلومي واعدلي

واذا اخت امرئ ليمت على

شفق منها عليه فافعلي

جل عندي فعل جساس بنا

غمة للدهر ليست تنجلي

فعل جساس علىٰ وجدي به

قاطع ظهري ومدن اجلي

لو بعين فقئت عين سوىٰ

اختها فانفقأت لم احفل

يا قتيلا قوض الدهر به

سقف بيتي جميعاً من عل

هدم البيت الذي استحدثته

وانثنىٰ في هدم بيتي الاول

خصني قتل كليب بلظىٰ

من ورائي ولظىٰ مستقبلي

ورماني قتله من كثب

رمية المصحي به المستأصل

يـشـتـفـي المـدرك بـالـثـأر وفي

درکـي ثـأري ثـكـل مـشـكـلي

انـني قـاتـلة مـقـتـولـة

ولـعـل الله ان يـرتـاح لي

ونلحظ هنا اختلاف الروايتين ، المهم هنا ان جليلة خرجت ملتحقة باهلها فيما يكون الزير غافلاً عنها حتىٰ تأتيه اليمامة ابنة كليب لتحرضه علىٰ الثأر وتطلعه علىٰ وصية ابيها المكتوبة علىٰ الصخر فينشد باكيا اخيه .

كـليـب لاخـير في الـدنـيـا ومـن فـيـهـا

ان انـت خـليـتـهـا فـيـمـن يخـليـهـا

نـعى الـنـعـاة كـلـيـبـا فـقـلـت لهـم

مـالـت بنـا الارض ام مـالـت رواسيـهـا

لـيـت الـسـماء عـلىٰ من تحـتـهـا وقـعـت

وحـالـت الارض فـانـدكـت اعـالـيـهـا

الـنـاحـر الـنـوق لـلضـيـفـان يـطـعـمـهـا

والـواهـب المئـة الحـمـرا بـراعـيـهـا

الحـلـم والجـود كـانـا مـن طـبـائـعـه

مـا كـل الـطاقـة يـا قـوم نـحـصـيـهـا

اضحت منازل بالخلان قد درست

تبكي كليباً نهاراً مع لياليها

كليب اي فتىً زين ومكرمة

تقود خيلا الىٰ خيل تلاقيها

تكون اولها في حين كرتها

وانت بالكر يوم الكر حاميها

غدرك جساس يا عزيزي وياسندي

وليس جساس من يحبو ثواليها

لا اصلح الله منا من يصالحهم

حتىٰ يصالح ذئب المعز راعيها

وتولد البغلة الخضرا خداجة

وانت تحيا من الغبرا تلبيها

وتحلب الشاة من اسنانها لبنا

وتسرع النوق لا ترعىٰ مراعيها(٢٤)

وهنا يبدأ الزير سالم الحرب ويقود الرجال ضد بني مرة مقاتلا ومجندلاً الرجال وهو يصرخ يالثارات كليب ملك العرب وتغدو المأساة شاملة حين يقتل الزير ابن اخته الضباع زوجة

صديقه الامير همام بن مرة واسمه شيبان رغم انه بقي معه وهنا تحمل امه الضباع رأسه وتقف امام الزير لتنشد :

تقول ضباع يا سالم علامك
بجاه كليب ما سويت با بني
بثأر كليب تقتل ابن اختك
وتحرق مهجتي وتزيد حزني
حزنت علىٰ كليب وما جرىٰ له
وحزني في صميم القلب مبني
ولكن قد حكم ربي مراده
وربي ما كتب لي هو يصبني

فيجيبها الزير

يقول الزير من قلب حريق
بقتل كليب زاد اليوم حزني
الا يا اخت قلي من بكاك
ولا تخشين من امر يعبني
فو الله ثم والله ثم والله
اله العرش مذ ادعو يجبني

فـلا بـد لي مـن حـرب الاعـادي
واقـتـل كـل جـبـار طـلـبـني

فعادت الضباع الى اهلها مستبشرة باخذ ثأر اخيها كليب وهو امر غريب واقعاً صحيح فلكلوريا ذلك الى الراوي الشعبي يتمتع بقدرة خيال تتداخل فيها العواطف والمسميات والصور

من جانب آخر فان النص الطوطمي القديم يذكران خلافا نشب بين شيبان وخاله الـزير فقتله ذلـك ان شيبان قـد اهان طواطم حمير التي يتزعمها الزير فقال :

قـد اخـبـروني يـوم جئـت بـانـك
يـا قـليـل الـعـقـل تـركـب الحـمـير
مـا يـقـني الحـمـار الا الحـمـار
مـا انـا مـثـلك ولا عـقـلي صـغـير

وهذا نص تهديدي يختلف عن الروح العدوانية التي صور بها الزير الذي يجيب ابن اخته قبل ان يقتله

قـال ابـو لـيـلى المـهـلهـل ثـم قـال
انـت يـاشـيـبـون مـا عـاد لـك مجير

هـرجت ياشيبون في قولك كثير
الجحش لا يحمل كما يحمل بعير

والمهم هنا ان المعارك بين الطرفين تستمر سبع سنوات ثم تقوم الهدنة ليكتشف جساس خلالها ان توفيق الزير مقرون بجواد لدى اخيه اسمه (عندي) او (بعندم) في الرواية المصرية أو (عندهم) في الراوية العراقية فيسافر في الاف الفرسان الى ديار المهلهل ليأخذ جواده فلايجد رجلا بل بنات كليب وكبراهن اليمامة التي تنشد

لقد قالت يمامة في بيوت
الا يا مرحبا فيكم خوالي
الا يا مرحبا فيكم جميعاً
عداد القطر مع عدد الرمالي
بكم قد حلت البركة علينا
وزال الشر عنا والنكالي
فمهما تطلبوا تشوفوا
خيولاً مع بغال مع جمالي

ولكن مهر عمي غير ممكن
اسلمه فان المهر غالي

فاجابها خالها جساس

تعالوا اسمعوا قول اليمامة
تقول المهر لا اعطيه غالي
فاني قاصدا اخذه سريعاً
ولا اخشىٰ العداة ولا ابالي

ثم دخل الاصطبل واخذ الجواد وسار به الىٰ قومه حيث اقيمت الافراح لكن المهلهل يستطيع التنكر بزي سائس خيل وسرقة الحصان من جديد فهو رمز سعده الذي دفعه من جديد للقتال والانتصار حتىٰ انه رفع سيفه علىٰ امه عندما طلبت منه الكف عن سفك الدماء ثم انشد يقول :

يقول الزير ابو ليلى المهلهل
وقلب الزير قاسي ما يلينا
وان لان الحديد ما لان قلبي
وقلبي من حديد القاسينا

تـريـد اميـة ان اصـالـح

ومـا تـدري بمـا فـعـلوه فـيـنـا

فـسـبـع سـنـين قـد مـرت عـلي

ابـيـت الـلـيـل مـغـمـومـا حـزيـنـا

ابـيـت الـلـيـل انـعـي في كـلـيـب

اقـول لـعـلـه يـأتي الـيـنـا

اتـتـني بـنـاتـه تـبـكـي وتـنـعـي

تـقـول الـيـوم صـرنـا حـائـريـنـا

فـقـد غـابـت عـيـون اخـيـك عـنـا

وخـلانـا يـتـامـى قـاصـريـنـا

وانـت الـيـوم عـمـي مـكـانـه

ولـيـس لـنـا بـغـيـرك مـن مـعـيـنـا

سـللت الـسـيـف في وجـه الـيـمـامـة

وقـلت لهـا امـام الحـاضـريـنـا

وقـلت لهـا مـا تـقـولي

انـا عـمـك حمـاة الخـائـفـيـنـا

كمثل السبع في صدمات قوم

اقلبهم شمالاً مع يمينا

فدوسي يا يمامة فوق رأسي

علىٰ شاشي اذا كنا نسينا

فان دارت رحانا مع رحاهم

طحناهم وكنا الطاحنينا

اقاتلهم علىٰ ظهر مهر

ابو حجلان مطلوق اليمينا

فشدي يا يمامة المهر شدي

واكسي ظهره السرح المتينا

وهاتي حربتي رطلين وازود

وحطيها علىٰ عدد متينا

ونادي علي عدية وكل قومي

صناديد الحروب المانعينا

ونادي اخوتي يأتوا سريعا

لنلقىٰ جيش بكر اجمعينا

فـنـادتهـم اتـوا كـاسـود غـاب
وقـالـوا قـد اتـيـنـا يـا اخـيـنـا
وبـاتـوا يحـرسـون الـلـيـل كـلـه
وقـضـوا الـلـيـل كـلـه شـاهـريـنـا[٢٥]

وتجددت الحروب سنتين وجساس يحاول المكر بكليب وردعه عن القتال دون جدوىٰ فيهاجر وقومه الىٰ الحبشة حيث تغري الجليلة (كاهنة اهلها) الملك الرعيني بارسال جيشه لمعونتهم بقيادة اخيه غطاس فيما تقوم ابنتها اليمامة بطلب الثأر من عمها الزير والمجئ برأس جساس قاتل والدها كليب (وهنا يتعارض دور المرأتين ويتشابه المسعيان في الدفاع عن القومين) وهنا يصل عدي الىٰ الزير وهو في منتجعه ليخبره بعودة آل بكر مع جيوش الملك الرعيني فينشد

تـبـدي الـزيـر حـالا ثـم قـال
تخـاف مـن الـعـدا واخـوك سـالم
انـا وحـدي الاقـيـهـم بـعـزمـي
انـا الـدعـاس في يـوم الـعـزايـم[٢٦]

وفي البصرة تقيم جيوش الرعيني التي يزورها المهلهل متخفياً كشاعر جوال لمعرفة قوتها وانشد يمدح الملك بطلب من زوجته بدور :

قال الاديب الذي طالب احسانك

جرحي بوسط الحشا والقلب نزاز

يا بوفهد يا رعيني استمع ما اقول

يامن قلوب العدىٰ بالروع هزاز

قد كنت قبلا في خير وفي نعم

مستور بين اهلي ما انا معتاز

فصرت شاعر علىٰ الاجواد اقصدهم

اطوي الاراضي وانا ماشي علىٰ عكاز

قالوا فسر للرعيني مقصد الشعرا

فذاك جواد يعطي كل معتاز

فجئت طالباً احسانك واكرامك

يا من حوَيت المكارم في عطا المعتاز[٢٧]

ثم هجم وقطع رأس الرعيني واحتدمت الجيوش من

جديد لتنكسر جيوش التحالف السوداني المري فاستعان جساس بالعابد نعمان لايقاف القتال فينجح وهنا وخلال الهدنة يمرض الزير ويستطيع جساس مداهمته قصره غيلة حيث اثخنوه جراحاً ووضعوه في جلد جاموس لاهانته وسلموه لاخته الضباع التي ابدت فرحاً ووعدت بحرقه لقتله ولدها فيما يفارقها جساس وصحبه فرحين معلنين قتل المهلهل الذي يصحو على آخر رمق وينشد لاخته الضباع

قال الزير ابو ليلى المهلهل
ونار الحزن توقد في حشاه
فكان كليب ملك للبرايا
اتى جساس فغدره بالفلاة
جلست مكانه اخذ لثاره
وكنت انعيه صباحاً مع مساه
فقال الشيخ كف الحرب عاجل
ولا تنقل لسيف او قناة
جلست بخيمتي والدك جنبي
وعندي العبد ماعندي سواه

وقـومـي كـلهـم لـلصـيـد راحـوا

فـعـرف القـوم مـع بـاقي الـعـداه

أتـوني والمـقـدر كـان كـائـن

وحـل بي كـل مـا انـت تـراه

اتـوا بي لـعـنـدك يـا اخـت حـتى

تـنـالي الـثـأر يـا غـايـة مـنـاه

كـليـني يـا ضـبـاع او اقـتـليـني

انـا اخـوك اذا احـتـبـك الـقـنـاة

فـانتي تـشـبـهـي اللبـوات حـقـاً

وانـا مـثـل سـبـع لـلفـلاة

فـالـقـيـني بـصـنـدوق مـزفـت

وارمـيـني بـبـحـر مـيـاه[٢٨]

وهنا تعمل الضباع بمقترح الزير وتضعه في صندوق مزفت في اليم وتنشد

تـقـول ضـبـاع مـن قـلب حـزيـن

ايـا عيني فـزيـديـني من بـكـاهـا[٢٩]

فحطيته بصندوق مقفل

من بني مرة ما يعلم حداها

وقلت له روح يا جمل المحامل

ايا عمود بيتي انحناها

وتقود المياه الصندوق الىٰ ديار الملك حكمون حيث يستطيع الطبيب شمعون ان يشفيه وهنا ينشد حكمون مخاطباً الزير

قال اليوم حكمون الملك

يا موحد استمع مني المقال

هات لي احكي ما صار فيك

ما عملت وما فعلت من الفعال

حتىٰ طعنت ياموحد بالرماح

وجرحوك كثير بسيوف ثقال[30]

وهنا اجابه الزير سالم :

قال ابو ليلى المهلهل في قصيد

يا ملك حكمون يا حلو الخصال

في بلادي إن سألت عن الجلوس

مجلس باوسط فوق اعالي الجبال

وان سألت عن الشور كل الشور لي

ما احد يقدر يخالف لي مقال

وان وقع الحرب وضرب السيوف

فالعذارى هللت فوق الجمال

والسيوف الحدب عادلها مرير

والقتلى عادت تلولا كالرمال

فذاك اليوم انا اعز الملاح

ما مثالي في اليمين وفي الشمال

وان اتاني ضيف انا عز الضيوف

اشبع الضيوف من لحم الجمال

والفتى المعروف منجد يا امير

ابن وائل ذاك لي يا امير خال

ان كنت تسأل يا ملك عن صنعتي

صنعتي حاصود في روس الرجال

اما ابي فكان ذو قدر عظيم

مال فيه الدهر يا حكمون مال

صار سايس بعد عزه للخيول

بالكرامة بعد عزه والدلال

وانا قد صرت سايس بعده

اسوس الخيل ما مثلي مثال

وجروحاتي هي من عض الحصان

قد ضربني برجله اربع نعال

قمت من كدري ضربته في حشاه

راحت السكين تلعب للعزال

لاجل ذاك المهر سووا هال

فعال ورموني بالذك مع كثر الخيال[٣١]

وهنا عهد اليه حكمون بسوس الخيل حتى حدثت الحرب بين آل حكمون والروم والزير يشهد مشاهدها ويصرخ راكباً حائطاً وموجهاً دون ان يدري بما يفعل وتقع عليه عين عشتار ابنة حكمون فاخبرت ابيها بذلك

منشدة : [٣٢]

تقول ابنتك اسمع من كلامي
نظرت اليوم في عيني العجايب
رأيت اليوم من هذا الموحد[٣٣]
فعالا قد تعيد الراس شايب
فلما دقت الطبل النصارى
وقد هجمت عساكرها تحارب
والتقت العساكر بالعساكر
وراح السيف يعمل في المناكب
قد ابصرت احوال الموحد
غرائب قد فعلها من عجائب
لقد ركب الجدار سواه حصانه
كانه يا ابي قاصد يحارب
ويزعق ثم يلكز في كعابه
الى ان جرى دمه سكايب

ويهدر مثل ليث غاب اروع

تربع الارض منه والكتائب

يريد الحيط يطلع فيه يغزي

وقلبه للقا والحرب طالب

اذا ولت رجالك قال باطل

وان ولت عداك قال طائب

ينحني الناس واحد بعد واحد

قتل روحه وهو للحيط راكب

فهذا قد نظرته اليوم حقاً

من الاول الىٰ وقت المغارب

فلا ادري عاقل صميدع

ولا ادري أهو مجنون خائب(٣٤)

وهنا استدعىٰ حكمون الزير سالم واعطاه جواداً وسلاحاً ودخل المعركة ليقودها وينتصر فاكرمه حكمون ولقبه بالامير ثم نشد حكمون امام الجميع بعد النصر

يقـول حكمـون من ابيـات ركبهـا
احـلا من الشهد والياقـوت والمـال
لله يـوم بـه قـد جئـت زائـرنـا
الـسـعـد وافي يـاخـير مـفـضـال
الله سـاقـك لـنـا حتىٰ هـزمـت لنـا
خيـل العـدا سحـرا من غـير اهمـال
لـيـت لي عـمـرك يـزيـد
ايهـا المـلك الـسـعـيـد
مـا اريـد مـنـكـم سـوىٰ
الـسـيـف والـدرع والحـديـد
والمـهـر والاخـراج الـذي
قـاتـلت فـيـه يـا فـريـد[1]

وهنا تمنىٰ الزير علىٰ حكمون ان يسفره الىٰ اهله فجهزه ووده شاكراً ووصل الزير الىٰ مـوقعه متنكـراً ـ كالعـادة ـ ليتلمس عن قرب الام بنات كليب والام الجميـع عنـدئـذ

اعلن عن نفسه بالقول :

يقول الزير ابو ليلى المهلهل
عيوني دمعها جاري بكاها
بكت دما علي ما صار فينا
ليالي السعد ما عدنا نراها
عدمنا فارس الهيجا كليب
عقاب الحرب ان دارت رحاها
دهتني آل مرة جنح ليل
لتقتلني وتشفي ما دهاها
فكنت بخيمتي ملقى طريحاً
ثلاث الآف دزتني قناها
وجاءوا بي لعند ضباع اختي
والقوني طريحاً في خباها
وقالوا يا ضباع خذي شقيقك
اخذنا روحه قومي عزاها
بقيت انا ثمان سنين غائب
وزال الشر عني مع عناها

اســأل الله ان يحــفــظكــم جمــيــعــاً

عــلىٰ مـا طــالت الــدنيــا مــداهــا[٣٥]

ورغم ان الرواية الواقعية لاتترك الحدث يسير بهذا الشكل فانها ترسم له خطاً دارمياً آخر حيث يتخفى الزير عن اهله عند وصوله ولا يعرف به الاطراف بن نـاصر حـاف عريان (ص ٤٠) الذي يكتم الخبر لان الزير يريد زيارة قوم جساس حيث يزورهم كضيف ويجلس لدىٰ الطعام قرب جساس وياكل بشكل غريب ينبه جساس الىٰ امره فينشد :

يـقــول جســاس بـن مــرة في بـيــوت

اسـمـعــوا يـــا اخــوتي اهــل الـــوفـــا

ضــاق صـــدري وامـتـــلا قلبـي هـمـــوم

والـقـلـب والـغـم ضــارب في الحــشـــا

جيت تحت الــرمـل حــررتـه ســريــع

حــتىٰ ارىٰ مـــا هـــو هـــذا الـبـــلاد[ب]

رأيــت الجـــود لـــه في بـيـــت ضـــد

والجــمـــاعـــة شـكـــلهـم واقـــع حـــدا

ما عاد لي لهذا الرمل فقط

جرت فيه اليوم يا اولي النها

لو يصح اليوم قلت الزير جا

ها هو جالس بين الامرا

وهنا ادرك الزير ان جساساً عرفه فشهر سيفه وهرب جساس الىٰ حرم النساء فخرج الزير من مضارب العدو الىٰ مضارب اهله حيث استقبلته بنات كليب واولهم اليمامة / وهنا يحاول جساس دفع اخته الجليلة لاستعطاف الزير بالكف عن القتال لقاء تنصيبه ملكا علىٰ كل العرب وهو هنا يحيل طلب الصلح الىٰ اليمامة (ابنة كليب والجليلة) التي انشدت معارضة تقول :

قالت يمامة من ضمير صادق

يا جليلة اقصري عنا عناكم

انت واخوالي وكل عشائري

لا تزيدوا لفظكم ولا لغاكم

قتلتم الماجد كليب والدي

غدراً وما له ذنب معاكم

جساس طعنه من قفاه بحربة
ودعاه علىٰ الغبرا حقير حداكم
انا واخوتي بقينا بذلة
نمسي ونصبح ولا ننسىٰ بلاكم
انا لا اصالح حتىٰ يعيش ابونا
ونراه راكب يريد لقاكم(٣٦)

وهكذا استمر القتال لتقوم بعده هدنة تجري فيها سلسلة احداث لسنا بصددها ولكن يهمنا ان نسير الىٰ موتيف آخر ينشأ عرضاً عن عودة شيبون بن الضباع من حرب بلاد الروم حيث استقبله اعمامه واوضحوا له تعديات الزير عليهم وعدم قبوله الصلح فغضب ودعاهم الى الوحدة وارسل للزير (خاله) قصيدة مهددة تقول :

قال شيبون بن همام الامير
حامي الزينات قهار العدا
مرعب الفرسان في يوم اللقا
ساقياً اعداءه كأس الردى

ضرب سيفي يقطع الصخر المتين

ثم يقدح للصخور الجلمدا

كل من يبغي قبالي يرتدي

ويرتمي فوق الصعيد ممددا

لم يبق لي مفارق بالمجال

حين يلقوني يولوا شردا

وانت يا خالي مهلهل يا همام

شد عزمك للقتال الى غدا

لا تقل يا خالي ما اعلمتني

يا قليل العقل لا تتمردا

ابرز الي في الصباح ولاقني

ثم ابشر يا مهلهل بالردى

عندئذ يجيبه المهلهل :

قال ابو ليلى المهلهل انني

مفرج الكربات في يوم الزحام

يا فتى شيبون يا ابن اختي ضباع

تهددني في كتابك يا غلام

ثم تطلبني الىٰ سوق المجال

وانت قصير عن ضرب الحسام

انت ياشيبون لا اسخي عليك

يا حماة البيض في ضرب الحسام

اختفي من ان تجهل يا امير

فالجهل يسقيك كاسات الحمام

اطرد الشيطان ابليس اللعين

وانتصح من قول خالك ياهمام

لاتخالفني واسمع ما اقول

يقتلك جهلك وما تبلغ مرام

رد عما انت فيه لا تزيد

ان كنت تبغي حربي والصدام

شد عزمك غداً نتلاق سوىٰ

من طلوع الفجر الىٰ وقت الظلام

وفي الصباح تدور معركة مأساوية اخرىٰ بين الخال

وابن اخته الذي يقتل لينشد الزير ابرز مراثيه

الـزيـر انشـد شعـراً من ضمـايـره

العـز بـالسيف ليس العـز بـالمـال

شـيـبـون ارسـل الحـرب يـطلبـني

يـريـد حـزني وقـتـلي دون ابـطالي

نصحتـه عن قـتـالي لم يـطاوعـني

بـارزتـه فـهـوىٰ لـلارض بـالحـال

المـال يـبـني بـيـوتـاً لا عـمـاد لهـا

والفقـر يهـدم بيـوتـاً سقفهـا عـالي

دع المـقـاديـر تجـري في اعـنـتـهـا

ولا تـبـيـتـن الا خـالي الـبـال

مـا بـين لحـظة عـين وانتفـاضـتهـا

يـغـير الله مـن حـال الىٰ حـال(ج)

فكن مـع النـاس كـالميـزان معتـدلاً

ولا تـقـولـن ذا عـمـي وذا خـالي

الـعـم انـت مغـمـور بـنـعـمـتـه

والخـال من كنـت من اضـراره خـالي

لا يقطع الراس الا من يركبه

ولا ترد المنايا كثرة المال[٣٧]

والملاحظ هنا تداخل النص الشعبي بالنص الفصيح وبان شيبون هنا ليس شيبان الاول وان الزير قد قتل ولدي الضباع ثم نازل الامير همام بن مرة والدهما (وهو صفيه) وقتله مضطراً ، وهنا يظهر دور جرو ابن كليب المسمىٰ بالهجرس الذي اخفته جليلة عن اخواته وعن خاله حتىٰ شب لدىٰ امير الحجاز منجد بن وائل وعاد الىٰ اهله متزوجاً من بدور ابنة منجد مقاتلا اعمامه باعتبار ان الزير قد قتل والده كليب وهي صيغة دلسها عليه خاله جساس منشداً

انا ابكي علىٰ المرحوم ابيك

قتله الزير في ربعك وحيك

وهنا يورد النص الشعبي العام حوارات لكليب ـ السلف ـ مع الزير وهو في قبره ينشد

عظمي ذاب حتىٰ صار كحلا

وجساس بن مرة في الحياة

تـنـام الـلـيـل كـلـه يـا مـهـلـهـل

وثـأري مـا قـدرت عـلىٰ وفـاة[٣٨]

فينشد الزير مجيبا ساكن القبر

امـير كـلـيـب مـا قـصـرت يـومـاً

بـاخـذ الـثـارم الـقـوم الـبـغـاة

فـقم واسـأل بـنـاتـك يـا حـبـيـبي

عـلىٰ طـعـني وفـعـلي في الـعـداة[٣٩]

وتؤكد اليمامة وبنات كليب الاخريات علىٰ الثأر اذ ينشدن

يـقـول الـيـتـامىٰ يـا مـهـلـهـل

اتـانـا كـلـيـب يـسـتـنـجـد اخـاه

كـلـيـب قـام مـن وسط المـقـابـر

وصـار كـلـيـب في وسط الحـيـاه[٤٠]

وهنا يلتقي المحاربان اللذان يسعيان الىٰ ثأر واحد بطريقتين مختلفتين الهجرس وعمه الزير وهما يتوجسان من

بعضهما ويتبارزان حتىٰ تدق طبول الانفصال فيعود المهلهل الىٰ اليمامة وشقيقاتها لينشد :

يقول الزير ابو ليلى المهلهل
مريع الخيل انت قصدت الينا
يمامة اسمعي من كلامي
ايا ست الملاح المحسنينا
برزت اليوم للميدان حتىٰ
اقاتل آل مرة اجمعينا
فبارزني غلام غريب منهم
له عزم كما الصخر المتينا
كمثل اباكم وجهاً وحرباً
فذكرني ليالي الماضينا
فقد قاتلته في كل لطف
ويطعنني طعان القاتلينا
فحملاته وطعناته قوية
تقد الصخر والزرد المتينا[41]

وهنا تطلب اليمامة من عمها ان تقاتله هي بطريقة اخرى ترد في السيرة بواسطة التفاحات الاربع لتكتشف انه شقيقها فتحتضنه وتفهمه الحقيقة فيعود لامه غاضباً ومهدداً لتعترف بالحقيقة فتنشد .

الجليلة قالت ابيات ملاح
نار قلبي بالحشا زادت لظاه
استمع يا ولدي فيما اقول
يا ضيا عيني ويا كل المنا

انت روحي افتهم مني الكلام
قول صادق ليس فيه خفا

ان ابوك كليب صور المحصنات
قاهر الابطال في يوم الوغا(٢)
واخوته خمسون اعمامك جميع
كلهم فرسان طعناته قنا
ربيعة من السبب يا ابن حقيق
كل واحد سبع ربي بالفلا

منهم ابوك كان يدعى كليب

والفتى الزير المهلهل يا متى

والفتى المسمى عدي ودريعان

هذي الاربعة أتوا منها سوى

ثم ست واربعون خلافهم

من الجواري والسراري والاما

كلهم يا امير اعمامك لهم

كل واحد بالف يطعن بالوغى

وابوك كليب ساد على الجميع

بالفروسية مع جود وسخا

جاء جساس خالك باق فيه

وتركي بعده مثل الاما

وطردني عمك الزير بعده

فرحت الى اهل دون الملا

قد كنت حاملك بعد ابيك

فولدتك في تلك الحما

رحت سميتك على اسم الكلاب

صرت مثل السبع رابي بالفلا

وترد الابيات في الرواية الشعبية المصرية كالاتي :

قالت الجليلة من ابيات

نار قلبي بالحشا زادت لظا

انت روحي افهم مني الكلام

قول صادق ليس فيه من خفا

ان ابوك كليب صور المحصنات

قاهر الابطال في يوم الوغى

واخوته خمسون اعمامك جميعاً

كلهم فرسان طعانه قنا

اربعة من الست يا ابني حقيقي

كل واحد سبع ربي بالفلا

منهم ابوك المسمى كليب كان

والفتى الزير المهلهل يا منى

والـفـتىٰ المـسـمـىٰ عـدي ودرعـان

هـذه الاربـعـة اتـوا مـنهـا سـوىٰ

كـلهـم يـا امـير اعـمـامـك لهـم

كـل واحـد الـف يـطعـن بـالـوغـا

وابـوك كـليب سـاد عـلىٰ الجـمـيـع

بـالـفـروسيـة مـع جـود وسـخـا

جـاء جـسـاس خـالـك غـدره

وتـركـني بـعـده مـثـل امـا

وطـردني عـمـك الـزيـر بـعـده

فـرحـت الىٰ اهـلي دون المـلا

قـد كنت حـامـل فيـك بعـد ابيـك

فـولـدتـك في تـلك الحـما

رحت سمّيتـك عـلىٰ اسم الكـلاب

صـرت كـانـك سبـع رابي بـالفـلا

وانـا والله مـن خـوفي عـليـك

قـلت اخـي شـالـيش انـه لـك ابـا

وانـا اعلمتك افعـل مـا تـريـد

مـا بـقـت اخـاف يـا فـخـر المـلا

والملاحظ ان الابيات تـزداد وتنقص في الـروايتـين بحكم اللهجة والرواية والتغير الحاصل لزمن ومكان الرواية والمهم هنا ان الهجرس يزور قصر ابيه وقبره ويقابل عمّـه المهلهل الذي يفرح به ويتعاهدا على قتل جساس وتنصيب الهجرس ملكا ثم ينشد الزير

يـقـول الـزيـر ابـو ليـلى المـهـلـهـل

صـفـا عـيـشـي ووقـتي مـا تـكـدر[٤٢]

اتـاني الـسـعـد مـن رب الـبـرايـا

وزال الـنـحـس عـن ربـعـي وادبـر[٤٣]

عـلىٰ فـقـد الـفـتى مـاجـد كـلـيـبـا

ثـوىٰ لـه غـدراً جـسـاس قـنـطـر[٤٤]

وفي دمـه كـتـب لي في الـبـلاطـة

وصـايـا عـشـر ابـيـات واكـثر[٤٥]

يـوصـيـني بـقـولـه لا تـصـالـح

فـسـالم انـت صـالحـت تخـسـر[٤٦]

واطرد للجليلة من حمانا

عوده كعبها ما كان اخضر[٤٧]

طردناها وهي الجرو حامل

ومن يقدر على رد المقدر[٤٨]

انا فيهم فتكت بحد سيفي

ونلت القصد منهم بالمشهر[٤٩]

واني ما بكيت على كليب

أخذ بثأره بالسيف مجهر[٥٠]

فابكي حيث ما خلف ذكوراً

بنات الكل ماله احد يذكر[٥١]

ولما خالقي انعم علينا

وجاء الجرو كالسبع الغضنفر[٥٢]

صفا عيشي وقد نلت المقاصد

وزال النحس عنا ثم ادبر[٥٣]

وبعد يا بني اسمع كلامي

انا عمك وانت الليث قسور[٥٤]

فقم واجلس على كرسي ابيك

وفي احوال اخويك تبصر[55]

وهنا يرد الجرو (الهجرس) على عمه فرحاً ومعاهداً :

يقول الجرو قهار العدى

الا يا عم حسن البنات

فافهم قصتي ونشيد شعري

فانت اليوم نصري في الغزاة

الا ياعم انت الامير الحاكم

وذكرك شائع في الكائنات

ايصلح لي انا يا عم املك

واركب فوق ظهر الصافنات

وخياتي ينوحوا ثم يبكوا

وبعد كليب ساروا سايبات

يريدوا قتل جساس بن مرة

يشوفوا راسه فوق القناة

فـذاك الـوقـت ولـيـني لاحـكـم

وافـعـل مـا تـريـد ايـا مـنـاتي

دعـونـا نـطلق الـغـار عـليـهـم

ونـشـهـر الـسـيـوف المـاضـيـات[٥٦]

ثم يتفقان علىٰ خطة لقتل جساس الذي لم يكن يعلم بذلك كله ويتظاهر الجرو انه يقاتل مع خاله ويتظاهر المهلهل انه سقط عن فرسه قتيلا أو جريحاً ثم يشدان علىٰ جساس فيقع بين يدي الجرو ويستعطفه

قـال جسـاس الـذي شـاهـد وفـاه

يـا سيـاج البيض في طعـن القنـا

انـني يـا ابـن اختي بـك مستجـير

فـاجـرني يـا ابن اختي من القنـا[٥٧]

فا جابه الجرو

الا يـا خـال اقـصـر عـن مـن

دنى اجـلي قـد وافىٰ حمـامـك

تـقـول اجـرني يـا ابـن اخـتي

الا يـا جـرو اعـطيـنـا زمـامـك

قــتــلت كــلــيــب عــدوانــا وظــلــما

تــظن بــانــي اســمــع كــلامــك

وبــعــد كليب قــد اضحيت حــاكــم

تــســامىٰ في المــلا ايــضــاً مــقــامــك

تــريــد الــيــوم مــنــا ان نــجــيــرك

فــهــذا مــا تــشــوفــه في مــنــامــك

ثم طعن الجرو جساساً بالرمح وجاء المهلهل واحتز رأسه ثم انكسر بنو مرة في الحرب واستسلموا للجرو الذي اذلهم وقامت اعياد آل كليب وخلعت بنات كليب السواد واستقبلن بانشودة مطلعها :

صــار كــلــيــب في وسط الحــيــاة

كــلــيــب قــام مــن وسط المــقــابــر

دلالـة علىٰ بعث كليب في شخص الجرو ثم يـأتي الراوي الشعبي علىٰ سلسلة الانساب وقد تـزوج الجرو وولـد مالك وتغلب اللذان تزوجا بنتين للامير هلال بقيتا خمسة عشر عاماً دون ولد فدعا تغلب بن الجرو الله تعالىٰ وانشد

قائلاً

يقول الفتى تغلب على ما جرى له
بدمع جرى فوق الخدود نمور
اقول وفي قلبي من البين لوعة
وبي حسرات على الفؤاد تشور
لفراق ابينا بين الجرو والزير عمنا
عليهم قلبي والحشا مكسور
ايا رب يا رحمن يا سامع الدعا
عليك اتكلنا يا جابر الكسور
ترزقنا ولدين يحيوا ذكرنا
ايا من ترزق كل وحش كسور

فاستجاب الاله لهما ، وتستمر احداث السيرة الهلالية طويلة في الجزء التالي ولا يهمنا منها غير ان المهلهل ابى الزواج وظل يشرب المدام ويطوف على هودج في انحاء البلاد ومعه عبدان ضاقا به حتى ادرك انهما سيقتلانه وهو شيخ كبير فدعاهما الى حفظ وصيته اذا مات تلك الليلة واخذ عليهما اليمين انهما سينقلانها لاهله ففعلا فانشد بيتاً على شكل

احجية لم يفهمها العبدان حيث قال

مــن مــبــلغ الاقــوام أن مــهــلهــلاً
لله دركــما ودر ابــيــكــما

وطلب نقل هذا البيت لاهله ، ليلتها قتله العبدان ودفناه وعادا الىٰ الحي باكيين ورويا بيت الشعر للجرو الذي ادرك ان البيت لا معنىٰ لـه فاستـدعىٰ اليمامـة التي بكت وقالت لقد اراد عمي القول :

مــن مــبــلغ الاقــوام ان مــهــلهــلاً
اضـحىٰ قـتـيـلاً في الـفـلاة مجـنـدلا
لله دركــما ودر ابــيــكــما
لايــبــرح الــعــبــدان حتىٰ يــقــتــلا

ورغم اتفاق الروايات علىٰ «اضحىٰ» الواردة في البيت الاول فالأصح ان يقول «امسىٰ» لان القتل حدث في الليل واعترف العبدان به فقتلا بعد ان دلا علىٰ مكانه فدفن بمهابة تليق به .

لـــيلى

يرد اسم ليلى في ديوان الشعر الشعبي كابنة لنمهلهل وهو لم يرزق بها اذ توفي دون زواج ويورد شوقي عبدالحكيم العديد من الابيات والمرويات التي دارت حولها ويستدرك على ذلك بالقول «انها اضافات فلكورية جانبية لا علاقة لها بالملحمة الاصلية» ونحن على طرافة الصور وجدية النقاش الذي يديره حول ليلى نفضل عدم التوسع هنا والتأكيد على ان محاولتنا كانت لجمع وتنسيق صورة الديوان الاساس لهذه الملحمة الشعبية مع شرح لظروف الانشاد دون وهم بـاننا نحاول تلخيص الملحمة او تحجيم احداثها راجين ان يتسع الوقت لنا ولغيرنا لتحقيق الملاحم الشعبية باكملها

«الهوامش»

١ - هكذا في الاصل والاصح (جبار) بالكسر والنص الشعري مأخوذ عن كتاب الاستاذ شوقي عبدالحكيم «الزير سالم ابو ليلي المهلهل» ولا وجود له في الرواية العراقية للنص .

٢ - في الاصل : والقصورا

٣ - يذكر الهمداني في الجزء الثاني من الاكليل ان حسان بن اسعد قد انشد قائلاً (هو ينسبه لوالده ايضاً) .

يا عمرو لا تعجل على منيتي
ان الذي لا يستطاع شديد
واذا ملكت الملك فاعلم انه
حرب فكيف اذا اصطليت يذود

٤ - في الاصل وردت خطا (فقد سدتهم)

٥ - النص عن الرواية الخاصة بشوقي عبد الحكيم

٦ - في الاصل (واصبحا سكارى)

٧ - حسب الرواية المصرية ولا وجود لهذا النص في الطبعة الشعبية العراقية

٨ - الملاحظ ان الراوي الشعبي واضح النص لم يستطع ضبط اسماء العشرة المبشرة بالجنة

٩ - في الحديث عن الخليفة الثاني يبدو الخطأ التاريخي واضحاً رغم ان هذه النبوءة موضوعة على لسان التبع حسان وهذه خصيصة ملحمية عربية فكل بطل يدلي بنبوءته عند موته او اغتياله

١٠ - هكذا في الرواية المصرية معتمداً على شوقي عبدالحكيم

١١ - الاصح اتاني ولعله غلط طباعي

١٢ - لا وجود للنص في الرواية العراقية وقد نقلت عن الرواية المصرية

١٣ - يعتقد بعض الرواة والباحثين ان (محفوظ) هو اسم لكليب وواضح من هذا النص القريب من البداوة ان (محفوظ) كنية شيخ العشيرة تطلق عليه توقيراً وينادى بها

١٤ - عن النص المصري

١٥ - في النص وردت جفايك وهو غلط واضح

١٦ - عن الرواية المصرية

١٧ - ١٨ عن الرواية المصرية

١٩ - الشطر الثاني من البيت الثالث في الرواية المصرية واحفظ العهد ولاتنسى سواه

٢٠ - الرواية المصرية في نهاية البيت الخامس «نعطيك البناه»

٢١ - الرواية المصرية للبيت السابع

وسابع بيت سالم كون راجل
لاخذ الثار لا تعطي ونـاه

٢٢ - الرواية المصرية للبيت العاشر :

وعاشر بيت ان خالفت قولي

انا واياك عند قاضي القضاة

٢٣ ـ عن الرواية المصرية

٢٤ ـ يروي محمد مفيد الشوباشي في فصل (حرب البسوس) هذه الابيات التي قالها الحارث بن عباد سيد بني ثعلبة وزوج اخت كليب والمهلهل عندما قتل المهلهل ابنه بجير وهو ابن اخته وقد ارسله ليحقن به الدماء :

قربا مربط النعامة

لقحت قرب وائل عن خبال

لهف نفسي على بجير اذا ما

جالت الحرب يوم حرب عضال

قتلوه بشسع نعل كليب

إن قتل الكريم بالشسع غال

ويمينا لاقتلن ببجير

عدد الدر والحصى والرمال

٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ عن الرواية المصرية

٢٨ ـ الملاحظ ان الرواية الشعرية للزير تخالف الرواية الشعبية حيث اكد الزير انه كان وحيداً يعاقر الخمر وعبده قربه وحدث ما حدث

٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ عن الرواية المصرية

٣٣ ـ هذه الصفة تعطي للمهلهل وهو في غربته لدى قوم حكمون في

فلسطين

٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١ ـ عن الرواية المصرية

٤٢ ـ البيت الاول ترد في نهايته ر . م : ما تعكر

٤٣ ـ الشطر الثاني في ر . م : وزال النحس لما السعد نور ويأتي بيت آخر لم يرد في ر . العراقية يقول :

فقبل ظهوره كنا حزانى
نقض الليل في قلق ونسهر

٤٤ ـ قنطر ترد في م غندر

٤٥ ـ في م تحذف (لي)

٤٦ ـ في م : فسالم انت ان صالحت تخسر

أ ـ المرجح ان هذه الابيات تشكل جزءاً من رد المهلهل على حكمون

ب ـ الاصح : هذا البلا

ج ـ الاصح : وانتباهتها

د ـ الاصح : سور المحصنات

هـ ـ الاصح : وتركيني

٤٧ ـ يرد البيت في م :

واطرد الجليلة من حمانا
فعندي كعبها ما كان اخضر

٤٨ ـ كذا ورد في الروايتين

٤٩ ـ ورد في العراقية غلطاً : ونلت القصد منهجاً وقد اصلحته فاستقام

مع م

٥٠ ـ كذا في الروايتين

٥١ ـ احد في ع ترد (طفل) في م

٥٢ ـ لم يرد البيت في م

٥٣ ـ كذا في م

٥٤ ـ كذا في م

٥٥ ـ ورد الشطر الثاني في م وهو الاصح : وفي حال اخواتك تبصر

٥٦ ـ حسب الرواية ع ولم أشهدها في م

٥٧ ـ يرد الشطر الاول في الثاني وانني بك يا ابن اختي مستجير

ملاحظات غير ختامية
عن الزير سالم والسيرة الهلالية

تفاصيل الحلقة الاولىٰ من السيرة الهلالية التي تدعىٰ بقصة الزير سالم ابو ليلى المهلهل تلتقي في اجزاء كثيرة من تفاصيلها ودورة حياتها بالمنطق الدرامي الذي يسود الجزئين الكبيرين الباقيين (السيرة والتغريبة) ولكن ليس بالكثير من التأكيد علىٰ تفاصيل الحقد الذي كان يكنه الزير لجساس بل بالطريقة التقليدية للثأر من المعتدي .

كما اننا نجد في جانب من حياة كليب عندما يتنكر في زي المهرج قشمر بن عزة لقتل التبع حسان شبها في تصرفات ابي زيد الهلالي عندما تنكر مراراً بازياء متعددة (مهرجا وامرأة وساحراً) لاداء مهمة ما لبني هلال في تجوالهم وبحثهم عن الحياة الامنة التي لم يستطيعوا الوصول اليها .

واذا كانت الجليلة رمزاً لحيرة اوليفية بين زوجها واخيها فقد كانت الجازية رمزاً لحيرة اكبر وهي تتجول مع اهلها من قطر لاخر تاركة زوجها منصرفة لمشكلات قومها .

وبقدر ما يقوم بنو هلال في السيرة والتغريبة بخوض

صراعات ضد الفرس والروم واليهود يقوم صراع الزير سالم مع الروم بمحالفة مع حكمون الموحد .

واذا كان الهجرس قد قتل خاله جساس فان بريقعا بن ابي زيد يقتل من هو بمثابة خاله (ذياب بن غنم) بعد ان عاث في الارض فساداً وقتل والده غدراً .

وفي مجال اخر نرى قصة سعاد العجوز اخت التبع حسان التي ترمي بنار الفتنة بين كليب وجساس (بعد قتل شقيقها) تتكرر في شخصية (زعيمة ست الغرب) شقيقة الزناتي خليفة التي تتحرك بعد قتله لتشعل نار الفتنة بين الملك حسن ودياب وامراء زغبي فيما يكون ابو زيد غائباً عما حدث من غدر حسن بدياب والامراء وحزيناً لمقتل حسن على يد دياب بعد ذلك .

واذا كان جساساً قد قتل كليباً بطعنة في ظهره فان ذات الصورة تتكرر في التغريبة عندما يفر الزناتي خليفة امام الخفاجي عامر امير العراق وصديق الهلاليين فيقوم الخطيب بطعن الخفاجي غدراً .

وللخفاجي عامـر هذا قصـة غريبـة تختلف عن بقية القصص فهو الوحيد من الزعماء العرب الذين مر بارضهم بنـو هلال وقـام باستقبـالهم خير استقبـال ولم يحاربهم بـل استضـافهم ورحل معهم مسـاعداً ومعـاونا حتىٰ مقتله في تونس غدراً ، ولذلك فاننا نجد لعامر الخفاجي هذا مكانة كبيرة في الرواية المصرية التي تبكيه وتـدعوه (النجـع) وفي الرواية التونسية التي ترثيه اجمل الرثاء .

واخيـراً نقول ونحن نـودع القـارئ الكـريم ان في ملحمـة الزيـر سالم وحـدها الكثـير من عناصـر الدراسـة الفولكلورية والنفسية بصورها وشخوصها وحركـة الذات فيها بالاضافة الىٰ قيمتها الدرامية كمادة شعبية قصصية .

للمؤلف

١ - انا عاطل وقصص اخرى ١٩٥٨ مطبعة الشباب - بغداد

٢ - في القصة العراقية (دراسة نقدية) ١٩٦١ - مطبعة اتحاد الادباء - بغداد

٣ - الوجه الثالث للمرآة ١٩٧٣ - مطبعة الديوانية - (دراسة نقدية) الديوانية

٤ - حسين مردان ١٩٧٥ - مطبعة الشعب - بغداد ١٩٨٠

٥ - رحلة مع القصة العراقية (دراسة نقدية) مطبعة دار الحرية - بغداد

٦ - النار والزيتون (دراسة نقدية) ١٩٨١ - مطبعة دار الحرية - بغداد

٧ - حالة نصف الدائرة (قصص) ١٩٨٢ - مطبعة دار الحرية - بغداد

٨ - الناقد وقصة الحرب (دراسة نقدية) ١٩٨٦ - مطابع دار الشؤون الثقافية - بغداد

٩ - في تقاليد الحياة الشعبية العراقية (اعداد وتقديم) ١٩٨٦ - مطابع دار الشؤون الثقافية - بغداد

١٠ - في دراما قصيدة الحرب - دراسة نقدية - مطابع دار الشؤون الثقافية بغداد

الفهرست

■ في السيرة الشعبية العربية ـ مدخل ٧

■ السيرة الهلالية ـ الأصل والفرع ٢٣

■ ملحمة الزير سالم ـ الأحداث والديوان الشعري ... ٣٣

■ ملاحظات غير ختامية عن الزير سالم والسيرة الهلالية ٥٥

■ للمؤلف ١١٨

باسم عبدالحميد حمودي

- ولد في بغداد في ٣٠ مايس ١٩٣٧
- خريج كلية التربية ـ جامعة بغداد ـ قسم التاريخ ١٩٦٠
- عمل

رئيساً للقسم الثقافي في اذاعة صوت الجماهير

سكرتيراً لتحرير مجلة الأقلام

رئيساً لتحرير مجلة الأقلام

معاوناً للمدير العام لدائرة الشؤون الثقافية

- يعمل الآن رئيساً لتحرير مجلة التراث الشعبي ومديراً للتأليف والترجمة والنشر في دار الشؤون الثقافية.
- أمين عام الرابطة العربية للتراث الشعبي وعضو المجلس المركزي لاتحاد الكتّاب والأدباء في العراق.

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية
تتناول مختلف العلوم
والفنون والآداب

رئيس التحرير:
موسى كريدي
سكرتير التحرير:
ماجد اسد



دار الشؤون الثقافية العامة
وزارة الثقافة والاعلام

السعر نصف دينار